ليبيا أمام خارطة طريق أممية جديدة لإدارة الأزمة

ص2

سعيدة نغزة
شخصية استثنائية تقتحم مجالا حكرا على الرجال

ص7

صراع الذهب يحتدم
هل يتوج عثمان ديمبيلي بالكرة الذهبية

ص16

العرب

www.alarab.co.uk
أول صحيفة عربية يومية تأسست في لندن 1977
الأحد 2025/08/03
09 صفر 1447
السنة 48 العدد 13564
Sunday 03/08/2025
48th Year, Issue 13564

ترامب يجدد للملك محمد السادس دعم واشنطن لسيادة المغرب على الصحراء

الموقف الأميركي يدعم الزخم الإقليمي والدولي الذي يصب في صالح المغرب

محمد ماموني العلوي

الرباط - جدد الرئيس الأميركي دونالد ترامب في برقية إلى العاهل المغربي الملك محمد السادس التأكيد على اعتراف الولايات المتحدة بالسيادة المغربية على الصحراء، ودعمها للمقترح المغربي للحكم الذاتي "باعتباره الأساس الوحيد من أجل تسوية عادلة ودائمة لهذا النزاع."

وقال ترامب، في برقيته إلى الملك محمد السادس بمناسبة عيدالعرش، "أود أن أجدد التأكيد على أن الولايات المتحدة تعترف بالسيادة المغربية على الصحراء، وتدعم المقترح المغربي للحكم الذاتي، الجاد وذا المصداقية والواقعي، باعتباره الأساس الوحيد من أجل تسوية عادلة ودائمة لهذا النزاع."

ويقول مراقبون إن توقيت الرسالة الأميركية مهم، ومقصود، وإن تزامنه مع الاحتفالات بعيد العرش الهدف منه تدعيم الزخم الإقليمي والدولي الذي يصب في صالح المغرب سواء ما تعلق بالاعتراف بسيادته على الصحراء أو بالشراكات الاقتصادية المتنوعة التي تربطها مع بلدان مختلفة.

وأشار المراقبون إلى أن واشنطن تبعث برسالة واضحة بأنها دعمت في السابق سيادة المغرب على أقاليمه الجنوبية وتستمر على نفس الموقف وبشكل لا يقبل أيّ تشكيك أو تأويل، وأن المغرب هو الشريك الرئيسي والأساسي للولايات المتحدة في المنطقة.

> **واشنطن تبعث برسالة تؤكد دعمها لمقاربة الحكم الذاتي، وأن المغرب هو شريكها الرئيسي في المنطقة**

وأكد ترامب أن "الولايات المتحدة تولي أهمية كبيرة للشراكة القوية والدائمة التي تربطنا بالمغرب. ومعا، نعمل على المضي قدما بأولوياتنا المشتركة من أجل السلام والأمن في المنطقة، لاسيما بالاعتماد على اتفاقات أبراهام، ومكافحة الإرهاب، وتوسيع نطاق التعاون التجاري بما يعود بالنفع على الأميركيين والمغاربة على حد السواء."

وتؤكد الرسالة القرار التاريخي الصادر سنة 2020 بشأن الاعتراف بمغربية الصحراء، عندما أبلغ ترامب الملك محمد السادس في اتصال هاتفي بأنه أصدر مرسوما رئاسيا، بما له من قوة قانونية وسياسية ثابتة، وبأثره الفوري، يقضي باعتراف الولايات المتحدة، لأول مرة في تاريخها، بسيادة المملكة المغربية الكاملة على كافة منطقة الصحراء المغربية، كما تعكس الرسالة ثبات موقف واشنطن من النزاع المفتعل.

وأشاد وزير الخارجية الأميركي ماركو روبيو، الأربعاء، بالشراكة الدائمة مع المملكة المغربية لتعزيز السلام والأمن، وأنه "في ظل قيادة الرئيس ترامب والملك محمد السادس سنواصل بناء حقبة جديدة من السلام والازدهار في السنوات المقبلة."

وعلق أستاذ العلاقات الدولية بجامعة محمد الأول بوجدة خالد شيات على مضمون رسالة ترامب في تصريح لـ"العرب" بالقول إن تجديد الرئيس الأميركي اعترافه بسيادة المغرب على الصحراء في هذا التوقيت يُعدّ خطوة مهمة تعكس إرادة هذه الإدارة في تفعيل مضامين هذا الاعتراف، لاسيما مشروع فتح قنصلية أميركية بمدينة الداخلة، وأن مضمون الرسالة يؤشر لامتداد النهج الأميركي الذي بدأ منذ إعلان ترامب نفسه هذا القرار التاريخي قبل خمس سنوات، وزيادة الزخم القانوني والدبلوماسي والسياسي لمبادرة الحكم الذاتي.

وفي أبريل الماضي عقد وزير الخارجية المغربي ناصر بوريطة، بواشنطن، أول لقاء مع روبيو، جدد فيه هذا الأخير "التأكيد على أن الولايات المتحدة تعترف بسيادة المغرب على الصحراء، وما تزال تؤمن بأن حكما ذاتيا حقيقيا تحت السيادة المغربية هو الحل الوحيد ذو الجدوى،" مشيرا إلى أن "الولايات المتحدة ستعمل على تسهيل إحراز تقدم نحو هذا الهدف."

كما التقى بوريطة مع العديد من الأعضاء المؤثرين في الكونغرس الأميركي، وتمحورت لقاءاته حول سبل تعزيز الشراكة الإستراتيجية متعددة الأبعاد التي تجمع بين المغرب والولايات المتحدة، والتشاور بشأن القضايا الإقليمية والدولية ذات الاهتمام المشترك.

وقال عضو الكونغرس ماريو دياز بالارت إن "الولايات المتحدة، من خلال تجديد تأكيد الاعتراف بسيادة المغرب على الصحراء، تكرس ثبات موقفها، مع الإشادة بالدور الذي يضطلع به المغرب من أجل السلام والازدهار، تحت قيادة الملك محمد السادس، حيث أن المغرب أصبح حليفا وشريكا رئيسيا للولايات المتحدة من أجل تحقيق السلام في الشرق الأوسط."

وتأكيدا على قوة الشراكة بين الولايات المتحدة والمغرب في تعزيز السلام والأمن، خلص رئيس الولايات المتحدة في البرقية الموجهة إلى العاهل المغربي إلى القول "وإنني أتطلع إلى مواصلة تعاوننا من أجل تعزيز الاستقرار والأمن والسلام على الصعيد الإقليمي."

واعتبر خالد شيات أن السياق الجديد يؤشر على أفق متقدم لتعزيز الشراكة الإستراتيجية بين الرباط وواشنطن، خاصة في الأقاليم الجنوبية للمملكة، التي باتت تُكرّس كمركز إستراتيجي للتنمية والتعاون السياسي والاقتصادي والتجاري بين البلدين، وأن تجديد الموقف الأميركي يعزز من موقع المغرب كشريك موثوق ومركزي في معادلة الاستقرار الإقليمي والدولي.

شراكة قديمة متجددة

ترحيل قانون الحشد تراجع تكتيكي للميليشيات أمام الضغوط الأميركية

بغداد - رغم جهوزية قانون الحشد الشعبي وإحالته على الجلسة الأخيرة للبرلمان في دورته الحالية، إلا أن الكتل التابعة للإطار التنسيقي عرقلت عقد الجلسة من خلال الإيعاز لعدد كبير من نوابها بعدم الحضور، ما حال دون مناقشة القانون وعرضه للتصويت، في خطوة يقول مراقبون إن الهدف منها ترحيل مشروع القانون للدورة البرلمانية الجديدة لربح الوقت وتجنب الصدام مع الولايات المتحدة التي تبدو في حالة استنفار سياسي وأمني لمنع ميليشيا الحشد من الحصول على غطاء قانوني لأنشطتها.

ويمثل التأجيل متنفسا لرئيس الوزراء العراقي محمد شياع السوداني، الذي يسعى لعدم إغضاب الولايات المتحدة، وفي ظل حالة البرود بين حكومته وإدارة الرئيس الأميركي دونالد ترامب، بسبب سياسة اللعب على الحبال التي يراهن السوداني على نجاحها بأن يكون في صف أميركا وإيران في نفس الوقت ويكسب من الجهتين.

ويشير المراقبون إلى أن تأجيل عرض القانون على التصويت مع وجود فرصة كبيرة لتمريره يهدف الإطار التنسيقي من ورائها إلى شراء الوقت على أمل أن يحدث تغيير في السياسة الأميركية، وأن تستعيد إيران نفسها بعد الحرب الأخيرة وتفكر في كيفية استخدام الميليشيات لإزعاج الوجود الأميركي، لكن أيّ تحرك في الوقت الحالي سيعني إعطاء مبرر لإدارة ترامب ولإسرائيل، كذلك، لتنفيذ عمليات تستهدف قدرات الميليشيات وقادتها.

وأكد عضو لجنة الأمن والدفاع النيابية علي البنداوي، يوم السبت، إكمال التعديلات على قانون هيكلة الحشد الشعبي، وأن اللجنة قدمت طلبا رسميا لإدراجه ضمن الجلسة. لكن الذي حصل أن الجلسة لم تنعقد بسبب غياب 164 نائبا قالت مصادر إن أغلبهم من الكتل الكبيرة المحسوبة على الاطار التنسيقي مثل كتلة دولة القانون وكتلة صادقون النيابية (العصائب) وكتلة بدر الذين اختاروا أن يبعثوا نوابا للجلسة ويغيبوا نوابا آخرين لعرقلة عقد الجلسة وتجنب الإحراج سواء بتمرير القانون أو إسقاطه.

وكشف النائب سعود الساعدي عن إصرار بعض أعضاء مجلس النواب على تعطيل الدور الرقابي والتشريعي للمجلس.

وقال الساعدي، خلال مؤتمر صحفي عقده في مبنى البرلمان بمشاركة عدد من النواب، إن "رئاسة مجلس النواب تتحمل مسؤولية تعطيل المجلس،" مؤكداً أنه "لا يوجد في النظام الداخلي أيّ شيء تحت مسمى تعليق انعقاد جلسات مجلس النواب."

وكان ائتلاف دولة القانون، بزعامة نوري المالكي، استبعد يوم الخميس الماضي، إقرار قانون الحشد الشعبي في الدورة البرلمانية الحالية، مرجعا السبب في ذلك لوجود اعتراض داخل العراق وخارجه على القانون.

وقال عضو الائتلاف حسين المالكي، لوكالة شفق نيوز، في حينها إن "قانون الحشد الشعبي لن يمرّر خلال الدورة البرلمانية الحالية وسيرحّل إلى الدورة البرلمانية المقبلة،" مبيناً أن "هذا وفق إرادة سياسية داخلية وكذلك إرادة دولية خارجية، فهناك معارضة داخلية وهناك إرادة خارجية لمنع تمرير قانون الحشد الشعبي."

وأعلنت الولايات المتحدة سابقا معارضتها بشدة لأيّ مشروع قانون لا يتماشى مع أهداف الشراكة الأمنية الثنائية مع العراق ويتعارض مع تقوية مؤسسات الأمن الرسمية والسيادة في العراق.

> **أي تحرك في الوقت الحالي سيعني إعطاء مبرر لإدارة ترامب ولإسرائيل لتنفيذ عمليات تستهدف قدرات الميليشيات وقادتها**

وتخشى الولايات المتحدة من أن يكرّس القانون المقترح وضع الحشد الشعبي كقوة مستقلة عن الجيش العراقي، ويمنح شرعية لفصائل مصنفة أميركيا كجماعات إرهابية.

وقد نقل مسؤولون أميركيون هذه المخاوف إلى الحكومة العراقية خلال محادثات ثنائية في الأسابيع الماضية، مطالبين بـ"حصر سلاح الفصائل" ومحذرين من "تدخل دولي يحسم مصير هذا السلاح في حال فشل السوداني في حسمه."

وكان رئيس البرلمان محمود المشهداني كشف في 14 يوليو الماضي، عن رسائل أميركية رافضة لتمرير قانون الحشد، محذرا من تظاهرات قد تشهدها المدن العراقية خلال الفترة المقبلة، ما سيدفع البلاد إلى إعلان "حكومة طوارئ."

خدعة جماعة الإخوان ضد مصر ترتد عليها بالسخرية بين المصريين

القاهرة - ارتدت دعوات أطلقتها جماعة الإخوان بالتظاهر أمام سفارات مصرية احتجاجا على غلق معبر رفح، إلى صدر الجماعة وانقلبت سخرية عليها، بعد أن وجهت انتقادات إلى مصر وتجاهلت إسرائيل المسؤولة عن تدمير المعبر من الجانب الفلسطيني، وتجويع سكان قطاع غزة بحرمانهم من دخول المساعدات فترة طويلة.

وتعرضت جماعة الإخوان إلى اتهامات من وسائل إعلام محلية، عقب تظاهر عشرات من عرب إسرائيل، ممن ينتمون إلى جناح في الحركة الإسلامية يؤيد الإخوان، يوم الخميس، في تجمع احتجاجي أمام السفارة المصرية في تل أبيب، بزعم "مشاركة مصر في حصار غزة،" ومطالبتها إدخال المساعدات من معبر رفح البري.

ودافعت دوائر رسمية على موقف مصر من تسهيل دخول المساعدات، مستنكرة دعاية الإخوان المغرضة، التي ترمي إلى تحميل القاهرة المسؤولية، وتحريض المواطنين من جنسيات مختلفة ضد قيادتها، وخلق حالة شعبوية ضد النظام المصري في الداخل.

وشجعت إسرائيل ضمنيا التظاهرة التي اختارت مقر السفارة المصرية في تل أبيب، بهدف جذب الأنظار بعيدا عن الحكومة ورئيسها بنيامين نتنياهو، وحصلت الحركة الإسلامية على التصريحات القانونية اللازمة، ما عرّض جماعة الإخوان المؤيدة للتظاهرات ضد السفارات إلى اتهامات بالتواطؤ والتآمر مع إسرائيل ضد الشعب الفلسطيني، ما يفقد الثقة في خطابها المعلن الداعم لإدخال المساعدات إلى غزة.

وبدت حكومة إسرائيل وجماعة الإخوان في سلة واحدة، فكلاهما له أغراض متباينة من وراء استهداف السلطة في مصر، لكن جمعتهما المصالح السياسية، فإسرائيل تريد التنصل من مسؤولية تجويع الفلسطينيين وتتبنى خطابا يضع العبء على القاهرة، والجماعة التي تتحرك وفقا لأجندة وضعها التنظيم الدولي للإخوان، تسعى لجر القاهرة إلى أزمة جانبية، تخفف العبء عن حركة حماس، وتفتح نافذة للفوضى في مصر، قد تسمح للإخوان بالعودة إلى المشهد السياسي.

وينتمي عدد كبير من عناصر الحركة الإسلامية في إسرائيل إلى جماعة الإخوان، وسبق لهذا الجناح أن تحالف مع الليكود عام 2021، وتزعمه وقتها نتنياهو أيضا.

وحصلت الحركة على تصريح بالتظاهر من وزير الأمن الإسرائيلي المتطرف إيتمار بن غفير، والذي طالب بإبادة الفلسطينيين وتهجير سكان غزة والضفة الغربية.

ورفعت التظاهرة أمام سفارة مصر بتل أبيب علم إسرائيل ولم ترفع العلم الفلسطيني، وتجاهل المشاركون انتهاكات قوات الاحتلال في غزة والضفة الغربية.

> **الإخوان تظاهروا أمام السفارة المصرية في تل أبيب للاحتجاج على إغلاق معبر رفح بدل التظاهر ضد إسرائيل التي تغلقه**

ودعا ما يسمّى "اتحاد أئمة المساجد" المحسوب على الحركة الإسلامية في إسرائيل إلى التظاهرة احتجاجا على إغلاق معبر رفح البري أمام الجرحى والمرضى والمساعدات الإنسانية، وضد ما وصفوه في بيانهم بـ"التواطؤ في تجويع غزة وأهلها."

وكتب على اللافتات عبارات مثل "أين السيادة والإرادة المصرية،" و"افتحوا المعبر،" و"يا أهل مصر لا تتركوا غزة وحدها،" و"إغلاق معبر رفح جريمة."

وانتبهت مصر إلى وجود حملة تحريض تقودها جماعة الإخوان، ولم تنزلق خلفها، كي تنحرف عن مهمتها في تسهيل دخول المساعدات من خلال دفع المجتمع الدولي لممارسة ضغوط قوية على إسرائيل، بعد أن تحوّل ما تقوم به من حصار إلى مجاعة، بدأت تستفز قوى كبرى، وتحثها على إيجاد حل بعيد المدى للقضية الفلسطينية، وعدم اختزال القضية في دخول شاحنات المساعدات.

وشدّد الرئيس المصري عبدالفتاح السيسي على ضرورة وقف إطلاق النار في غزة وإعادة الإعمار وإنفاذ المساعدات الإنسانية وإطلاق سراح الرهائن والمحتجزين.

وتوقّع مراقبون أن تخرج جماعة الإخوان خاسرة سياسيا بسبب دعواتها للتظاهر أمام السفارات المصرية، والتي بلغت قمة الكوميديا بدعم تظاهرة أمام سفارة مصر في تل أبيب، والتي كشفت حجم العجز الفكري الذي تعاني منه الجماعة، وانكماشها بصورة جعلتها تبدو متحالفة مع إسرائيل ضد سكان غزة.

ليبيا 1 دينار – السعودية 2 ريال – مصر 3 جنيه مصري – موريتانيا 120 أوقية – تونس 900 مليم – المغرب 3 دراهم – الجزائر 7 دينارات – البحرين 200 فلس – اليمن 50 ريالا – الكويت 150 فلسا – الإمارات 2 درهم – عمان 200 بيزا – قطر 2 ريال – العراق 2000 دينار – الأردن 500 فلس – سوريا 150 ليرة – السودان 50 دينارا
AUSTRIA 2 € - BELGIUM 2 € - CYPRUS 2 € - FRANCE 2 € - GERMANY 2 € - GREECE 2 € - ITALY 2 € - TURKEY 2.350.000 TL (YTL2.35) - MALTA 2 € - NETHERLANDS 2 € - SPAIN 2 € - SWEDEN 13 KR - SWITZERLAND 3SF - USA $ 1 - UK £ 1

العرب
الأحد 2025/08/03
السنة 48 العدد 13564

ليبيا أمام خارطة طريق أممية جديدة لإدارة الأزمة بداية من 21 أغسطس الجاري

تيتيه: خارطة الطريق ستُبنى على أساس ما جُمِع من آراء الليبيين

من المنتظر أن يناقش مجلس الأمن الدولي انطلاقا من 21 أغسطس الجاري خارطة الطريق الجديدة التي ستعرضها الممثلة الخاصة للدعم في ليبيا حنّا تيتيه، بهدف حل الأزمة الأمنية والسياسية في البلاد.

الحبيب الأسود

يعقد مجلس الأمن الدولي جلسة خاصة يوم 21 أغسطس الجاري لبحث تطورات الأوضاع في ليبيا، ومناقشة تقديم خارطة طريق جديدة لحل الأزمة المستمرة في البلاد، حيث من المنتظر أن تقدم الممثلة الخاصة للدعم في ليبيا حنّا تيتيه إحاطة شاملة أمام المجلس تتناول خلالها آخر المستجدات السياسية والأمنية والإنسانية في ليبيا، إضافة إلى عرض تقرير الأمين العام بشأن أنشطة البعثة، فيما سيقدّم رئيس لجنة العقوبات المفروضة على ليبيا إحاطة منفصلة خلال الجلسة، يستعرض فيها أبرز أنشطة اللجنة وتطورات تنفيذ التدابير الدولية المفروضة على الأطراف الليبية خلال الفترة الماضية.

وستتميز الجلسة المنتظرة بالإعلان عن خارطة طريق جديدة للحل السياسي تتقدم بها رئيسة البعثة ويناقشها أعضاء المجلس بهدف كسر حالة الجمود السياسي في البلاد.

وبحسب تيتيه، فإن خارطة الطريق المرتقبة ستُبنى على أساس ما جُمِع من آراء الليبيين في اللقاءات المباشرة، والمكالمات المفتوحة، والاستطلاعات الإلكترونية.

> **لجنتا «6+6» و«الاستشارية» اتفقتا على ضرورة تعديل الإطار الدستوري لتسهيل إجراء انتخابات رئاسية وبرلمانية**

وقالت تيتيه، خلال لقاء عبر تقنية "زووم" مع عدد من الناشطين الليبيين، إن هذه البيانات ستُشكل الأساس الفني والسياسي لخارطة الطريق الجديدة التي ستُعرض على مجلس الأمن في الـ20 والـ21 من أغسطس الجاري.

وأوضحت تيتيه أن البعثة لا تسعى إلى تمديد المراحل الانتقالية، بل تعمل على الانتقال إلى مرحلة الاستقرار من خلال انتخابات تستند إلى إطار قانوني واضح وقابل للتنفيذ، مشيرة إلى أن اللجنة الاستشارية أوصت بفصل الانتخابات الرئاسية عن التشريعية.

في الأثناء، تواصل بعثة الأمم المتحدة للدعم في ليبيا تنظيم استطلاعات الرأي وعقد جلسات الحوار سواء مباشرة أو عن بعد مع الفعاليات السياسية والاجتماعية والأحزاب ومنظمات المجتمع الأهلي وسلطات الحكم المحلي مع التركيز على فئات الشباب والنساء، وذلك قبل ثلاثة أسابيع من الجلسة الدورية التي سيناقش خلالها مجلس الأمن الدولي خارطة طريق الحل السياسي التي ستقدمها تيتيه.

ونشرت البعثة توصيات اللجنة الاستشارية بشأن الخيارات الأربعة لإجراء انتخابات في ليبيا، والتي تنص على مفاوضات أممية على اتفاق سياسي مع الأطراف القائمة لتشكيل حكومة جديدة موحدة للإشراف على الانتخابات، وإجراء الانتخابات الرئاسية والتشريعية بصورة متزامنة، وتكليف المسؤولين المنتخبين باعتماد دستور دائم.

ووفق هذه التوصيات فإنه في حال تعذر انتخاب الرئيس لأيّ سبب من الأسباب، سيتولى مجلس الشيوخ الصلاحيات الرئاسية، ولتجنب تمديد الفترة الانتقالية ستحدد مدة ولاية المجلس التشريعي بأربع سنوات، وهي مدة غير قابلة للتمديد، وستجرى الانتخابات تلقائيًا قبل ثمانية أشهر من نهاية مدة السنوات الأربع في حال عدم اعتماد دستور.

واتفقت اللجنتان "6 + 6" و"الاستشارية" على ضرورة تعديل الإطار الدستوري والقانوني الليبي لتسهيل إجراء انتخابات رئاسية وبرلمانية بنتائج مقبولة على نطاق واسع.

وفي ختام الاجتماع التشاوري بين اللجنتين برعاية بعثة الأمم المتحدة للدعم في ليبيا، والذي يأتي في إطار المشاورات المستمرة التي تجريها البعثة مع مختلف الأطراف الليبية المعنية، قبل الإعلان المتوقع عن خارطة الطريق السياسية خلال الإحاطة المقبلة لمجلس الأمن، قالت البعثة إن اللجنتين أقرتا بأن التسوية السياسية الشاملة أمر بالغ الأهمية لتمهيد الطريق للانتخابات.

وتتطلب هذه التسوية تعديل الإعلان الدستوري، ومراجعة القوانين الانتخابية، وتشكيل حكومة موحدة بتفويض انتخابي محدد زمنيًا، واعتماد ضمانات محلية ودولية لإعادة بناء الثقة، وخاصة بين الشعب والمؤسسات السياسية. وأكدت اللجنتان أن التسوية السياسية يجب أن تشمل أيضًا تدابير لتعزيز الحكم المحلي، وضمان أمن الانتخابات، ودفع المصالحة الوطنية، وتعزيز شفافية الإنفاق مع مكافحة الفساد.

وحسبما نشرته بعثة الأمم المتحدة للدعم في ليبيا فقد أشاد أعضاء لجنة "6+6" بتوصيات اللجنة الاستشارية الصادرة في 5 مايو الماضي، والتزموا بدمجها في الجهود المبذولة لجعل القوانين الانتخابية أكثر قابلية للتنفيذ.

وكشف سفير الاتحاد الأوروبي لدى ليبيا نيكولا أورلاندو عن لقائه مع خالد المشري دون أن يحدد مكان اللقاء، مشيرًا إلى أنهما "تبادلا حديثًا صريحًا حول الوضع السياسي الراهن في البلاد."

الانتخابات أولا

وأوضح أورلاندو أنه شدد خلال اللقاء على أهمية الحفاظ على وحدة المؤسسات الليبية وسلامتها، في ظل التحديات الكبيرة التي تواجهها البلاد حاليًا، مشيرا إلى أن مساهمة المشري ستكون "حاسمة" لضمان دور فعّال وبنّاء للمجلس الأعلى للدولة خلال المرحلة المقبلة، خصوصًا في دعم جهود الممثلة الخاصة للأمين العام للأمم المتحدة الهادفة إلى إحياء العملية السياسية.

وجدد أورلاندو تأكيد التزام الاتحاد الأوروبي بالعمل مع "جميع الجهات الفاعلة المسؤولة،" لتعزيز تطلعات الشعب الليبي نحو السلام والازدهار، مؤكدًا الاهتمام الأوروبي المشترك بتحقيق الاستقرار والتنمية في ليبيا، مؤكدا على الاتفاق مع المشري على "البقاء على اتصال وثيق، ومواصلة المشاورات خلال الأشهر المقبلة."

وبحسب مراقبين فإن الجلسة القادمة لمجلس الأمن ستأتي في ظل جملة من التطورات المهمة من بينها: احتدام المواجهة داخل مجلس الدولة الاستشاري بعد انتخاب محمد تكالة رئيسا، واتجاه مجلس النواب غدا الاثنين لمناقشة ميزانية الدولة من دون توافق بين الأطراف السياسية الفاعلة، وإصرار عبدالحميد الدبيبة على التمسك بمقاليد الحكم واتجاهه لعقد صفقات مع قوى إقليمية ودولية لضمان بقائه على رأس السلطة التنفيذية، ومضيه نحو الانفراد بالقرار في المنطقة الغربية ولو من خلال مواجهات ميدانية تنذر بعودة طرابلس إلى مربع العنف والفوضى.

ليبيا تعلن تفكيك ثلاث خلايا إرهابية تتبع تنظيم داعش

طرابلس - أعلن جهاز المخابرات الليبية تمكنه من تفكيك ثلاث "خلايا خطيرة" تتبع تنظيم داعش الإرهابي، كانت تنشط في مناطق متفرقة في جنوب البلاد.

وجاء ذلك وفق ما نقلته وكالة الأنباء الليبية الرسمية "وال"، الجمعة، عن مصدر أمني رفيع بجهاز المخابرات الليبية، لم تسمّه.

وقال المصدر الأمني إن "هذه العملية تأتي في إطار جهود الدولة الليبية لمحاربة الإرهاب وتجفيف منابع تمويله."

وأوضح بأن جهاز المخابرات ساهم في "رصد وتتبع عناصر الخلية طوال الأسابيع الماضية."

وأضاف المصدر ذاته أن "التحقيقات لا تزال جارية لكشف الجهات الداعمة والممولة للخلية داخليا وخارجيا،" مشيرا إلى وجود "تنسيق وثيق مع لجنة العقوبات التابعة للأمم المتحدة" في هذا الصدد.

وأوضحت الوكالة أن "تقريرا مقدما لمجلس الأمن كشف أن الخلية الأولى كانت تجند العناصر وتسهل نقلهم من شمال أفريقيا إلى الصومال ومنطقة الساحل، وتقدم لهم الدعم اللوجستي من جوازات سفر وإقامة."

وفيما تقوم الخلية الثانية "بغسيل الأموال من خلال شركات تمويهية لمساعدة المقاتلين وعائلاتهم على الهروب من مخيم في سوريا (لم تذكره) إلى ليبيا، فضلا عن استثمارها في دول المنطقة."

أما الخلية الثالثة فقالت الوكالة إنها كانت مسؤولة عن "تحويل الأموال إلى تنظيم داعش باستخدام عملات مشفرة."

وأكد التقرير المقدم لمجلس الأمن، وفق ما نقلته الوكالة، أن "هذه الخلايا خططت لتنفيذ عمليات إرهابية تستهدف مؤسسات أمنية وسيادية داخل ليبيا."

وأشارت الوكالة إلى أن جهاز المخابرات الليبية "ضبط بحوزة تلك الخلايا كميات من الأسلحة والمتفجرات، إضافة إلى أجهزة اتصال مشفرة ووثائق تثبت تلقيها دعما لوجستيا من الخارج."

ولفت التقرير إلى أن "أحد أفراد الخلية يُعرف باسمه الحركي (QDe.115) وهو مدرج على قائمة العقوبات الدولية كقيادي في تنظيم القاعدة، وقد تم اعتقاله خلال العملية الأمنية الأخيرة إلى جانب عناصر أخرى كانت تتلقى تدريبات في مناطق نائية جنوبي البلاد."

ولم تشر الوكالة إلى زمن تنفيذ هذه العملية الأمنية، ولا أماكن تفكيك الخلايا الثلاث.

وفي 13 نوفمبر 2014، سجل تنظيم داعش الإرهابي أول ظهوره له في ليبيا حينما أقام ندوة علنية لأول مرة أمام مسجد الصحابة وسط مدينة درنة (شرق)، تحت شعار "مدوا الأيادي لبيعة البغدادي."

كما ظهر التنظيم في بنغازي ثاني أكبر المدن الليبية والواقعة شرق البلاد، إذ أقام فيها وقت دخوله عام 2015 شرطته الإسلامية بمنطقة القوارشة، وديوانا للحسبة بمنطقة الهواري، فضلا عن تأسيس محكمة شرعية كما كان يطلق عليها آنذاك.

وفي 23 فبراير 2017 سيطر مسلحو داعش على مديرية أمن مدينة صبراتة غرب البلاد بعد اشتباكات مع قوات الأمن أسفرت عن سقوط 12 من عناصر الأمن وخمسة من التنظيم.

وفي 28 مايو 2015 أعلن تنظيم داعش أنه يجهز نفسه لإعلان أكبر إمارة له داخل ليبيا، وهي مدينة سرت (450 كلم شرق طرابلس) التي دخلها في غفلة من الجميع.

> **التقرير المقدم لمجلس الأمن أكد أن هذه الخلايا خططت لتنفيذ عمليات إرهابية تستهدف مؤسسات داخل ليبيا**

وخلال تلك الفترة تبنّى التنظيم تنفيذ العديد من العمليات الانتحارية في شرق البلاد وغربها وجنوبها.

ورغم الفراغ الأمني الكبير في ليبيا التي ينقسم جيشها شرقا وغربا فضلا عن الصراع السياسي على السلطة، إلا أنه تم طرد التنظيم من الأراضي الليبية، غير أن السلطات تعلن من وقت إلى آخر تفكيك خلايا تابعة للتنظيم الإرهابي وخاصة في جنوب البلاد.

ويرى مراقبون أن انعدام الأمن والفوضى التي تشهدها البلاد منذ سقوط نظام العقيد معمر القذافي في العام عام 2011، ساهم في تزايد أعداد مثل هذه الخلايا الإرهابية التي تنشط داخل الأراضي الليبية.

وتعاني ليبيا منذ العام 2011 من الفوضى والانقسامات السياسية التي تعمقت بوجود حكومتين، إحداهما تحظى باعتراف دولي، وهي حكومة الوحدة الوطنية المنتهية ولايتها برئاسة عبدالحميد الدبيبة، ومقرها العاصمة طرابلس، وتدير منها غرب البلاد بالكامل.

أما الحكومة الثانية فكلفها مجلس النواب (البرلمان)، وهي برئاسة أسامة حماد، ومقرها في بنغازي، وتدير شرق البلاد بالكامل ومدنا في جنوب البلاد.

وزراء وأمنيون مغاربة ينخرطون في إطلاق الجيل الجديد من برامج التنمية

محمد ماموني العلوي

الرباط - تفعيلا للتعليمات الملكية الواردة في خطاب عيد العرش ليوم 29 يوليو الماضي، التي دعا فيها العاهل المغربي الملك محمد السادس إلى إطلاق جيل جديد من برامج التنمية الترابية، انعقد، بمدينة تطوان لقاء عمل موسع جمع عددا من أعضاء الحكومة بالولاة والعمال، واجتماع آخر بحضور كبار المسؤولين الأمنيين والعسكريين وممثلي المصالح المركزية، حيث التزم الجميع بانخراطهم في إنجاح هذا التحول النوعي في السياسات العمومية، بما يضمن تحقيق العدالة المجالية والاجتماعية، ويُقرب السياسات من واقع وانتظارات المواطنات والمواطنين.

وشكّل هذا اللقاء الذي ترأسه وزير الداخلية عبدالوافي الفتيت مناسبة لاستحضار التوجيهات الملكية الواردة في خطاب العرش لهذا العام، التي اعتبرها المشاركون خارطة طريق شاملة لترسيخ دولة المؤسسات، وجعل أمن المواطنات والمواطنين أولوية أساسية تنطلق منها كل الرهانات الكبرى، وتدارس سبل التنزيل العملي لهذا المشروع الملكي الطموح، الذي يروم تجاوز المقاربات التقليدية في التنمية الاجتماعية نحو اعتماد نموذج مندمج للتنمية المجالية يضع المواطن في صلب السياسات العمومية.

وركّزت مداولات الاجتماع على مجموعة من الأولويات، أبرزها: إنعاش التشغيل، تعزيز الخدمات الاجتماعية الأساسية، اعتماد تدبير استباقي ومستدام للموارد المائية، وإطلاق مشاريع للتأهيل الترابي تأخذ بعين الاعتبار خصوصيات المجالات الترابية وتطلعات السكان، وشدّد المشاركون على ضرورة تبني مقاربة مندمجة قائمة على التنسيق الفعال بين القطاعات، وتحقيق الالتقائية في تنفيذ البرامج، مع إرساء حوكمة قائمة على النتائج والآثار الملموسة، حسب بلاغ وزارة الداخلية.

والتزم الجميع بانخراطهم في إنجاح هذا التحول النوعي في السياسات العمومية، بما يضمن تحقيق العدالة المجالية والاجتماعية، ويُقرب السياسات من واقع وانتظارات المواطنات والمواطنين، والنموذج التنموي للأقاليم الجنوبية، وما أفرزه من تحولات كبيرة على مستوى هذه الأقاليم، من حيث البنية التحتية والمشاريع التنموية، وتثمين الموارد الطبيعية واستثمار العائدات لصالح السكان المحليين.

ودعا الملك محمد السادس، في خطاب عيد العرش، الحكومة إلى إطلاق جيل جديد من برامج التنمية الترابية والانتقال من المقاربات التقليدية للتنمية الاجتماعية إلى مقاربة للتنمية المجالية المندمجة، وضرورة "إحداث نقلة حقيقية في التأهيل الشامل للمجالات الترابية، وتدارك الفوارق الاجتماعية والمجالية،" مع إقرار العدالة المجالية والتنمية الترابية المندمجة باعتبارها ركيزة أساسية في النموذج التنموي الجديد المؤطر برهان الحد من مغرب يسير بوتيرتين مختلفتين.

وفي سياق متصل عقد وزير الداخلية لقاء عمل بتطوان مع الولاة والعمال، بحضور كبار المسؤولين الأمنيين والعسكريين وممثلي المصالح المركزية، حيث تباحثوا خلاله نتائج النموذج التنموي بالأقاليم الجنوبية، وما عرفته هذه الجهات من تحولات بارزة في البنيات التحتية والمشاريع التنموية، مع تثمين الجهود المبذولة في استثمار الموارد المحلية لفائدة السكان، إلى جانب التحديات الأمنية الراهنة، بإبراز المجهودات الاستباقية التي تبذلها مختلف الأجهزة الأمنية لمواجهة المخططات الإرهابية، ومحاربة الجريمة بمختلف أشكالها، في إطار من التنسيق والتعبئة المستمرة.

وأكد رضوان اعميمي أستاذ القانون العام والعلوم السياسية أن "الاجتماع المزدوج الذي ترأسه وزير الداخلية، جاء تفاعلا مع التوجيه الملكي بإعادة النظر في منهجية العمل وأجندة الفعل الترابي، وهذا يتطلب أساسا المزيد من التنسيق والتفاعل بين مختلف المكونات على المستوى الترابي، وتعبئة الموارد والطاقات للنهوض بجودة الخدمات وتوزيعها بشكل عادل خاصة على المستوى القروي."

رضوان اعميمي

الاجتماع يؤشر على الحاجة لتوطين السياسات العمومية

وأوضح لـ"العرب" أن "هذا الاجتماع مؤشر على يقظة الإدارة الترابية في التعاطي مع التوجيهات الملكية، كما يؤشر على الحاجة المتزايدة لتوطين السياسات العمومية والتقائيتها على المستوى الترابي، في ظل استمرار مجموعة من الإشكاليات التي تعيق عمل الجهات والجماعات الترابية خاصة ما يتعلق بتفعيل اختصاصاتها الذاتية، وكذلك ضعف اللجوء إلى الأشكال التمويلية الحديثة، لذلك، ستعمل الإدارة الترابية على تجاوز مجموعة من التحديات الترابية خاصة في ظل ما تتوفّر عليه من إمكانيات بشرية ومادية وقدرة على التعبئة والتنسيق."

ونوّهت الهيئات السياسية المعارضة بدعوة الملك محمد السادس إلى فتح المشاورات السياسية بشكل مبكر مع مختلف الفاعلين لتوفير المنظومة العامة المؤطرة للانتخابات التشريعية، قبل نهاية السنة الحالية، والإعداد الجيد للانتخابات التشريعية المقبلة في موعدها الدستوري والقانوني العادي، بما يمنح الأحزاب والمؤسسات الوقت الكافي للاستعداد الجيد، مع حرصهم على نزاهة وشفافية العملية الانتخابية، باعتبارها أساس توطيد المسار الديمقراطي.

وسيتم اتخاذ تدابير لإطلاق "ديناميكية ترابية جديدة،" إلى جانب تسليط الضوء على دور المبادرة الوطنية للتنمية البشرية كشريك أساسي في الجهود الوطنية المبذولة لتقليص الفوارق في مجال الولوج إلى البنيات التحتية وتعزيز الرأسمال البشري.

الفتيت يستعرض ملامح المشروع الملكي الطموح

العرب
الأحد 2025/08/03
السنة 48 العدد 13564

صدمة إنسانية لصورة أسير إسرائيلي لدى حماس على مشارف الموت جوعا

الحركة ترد على ويتكوف ودعوات عربية ودولية: لن نلقي السلاح

الرهائن من ورقة بيد حماس إلى ورقة ضغط عليها

حركة حماس زادت من الضغوط عليها بعرض تسجيل فيديو لأسير إسرائيلي في وضع إنساني صعب بسبب غياب الأكل، بحجة أن الرهينة يعيش كما يعيش الغزيون، في رسالة سياسية لاستثمار حالة الجوع للضغط على إسرائيل لوقف الحرب. ويتزامن الحدث مع رفض الحركة تسليم سلاحها كرد على موقف عربي دولي صدر منذ أيام.

غزة - أثارت مشاهد فيديو عرضتها حركة حماس لأسير إسرائيلي لديها على مشارف الموت جوعا ردود فعل دولية غاضبة واتهامات للحركة بأنها لم تلتزم بالاتفاقيات الدولية الخاصة بحماية الأسرى، فضلا عن المتاجرة بحياة الأسير لتحقيق أهداف سياسية والضغط على إسرائيل للتوصل إلى هدنة تفضي إلى وقف لإطلاق النار وإطلاق سراح الرهائن.

لكن حماس تقول إن الهدف من الفيديو تحريك ضمائر الإسرائيليين لوقف الحرب من خلال تقديم صورة حية عن معاناة الغزيين من فقدان الغذاء والماء والدواء وصعوبة الحصول على المساعدات بسبب استهداف نقاط التوزيع. وتعزو الحركة الوضع المأساوي للرهينة الإسرائيلي إلى أن الأسرى يأكلون ممّا يأكل الفلسطينيون.

وكانت حماس قد حرصت في مناسبات سابقة لإطلاق سراح الرهائن على أن يظهروا في أحسن صورة ويحصلوا على خدمات مثل هدايا توديع الرهينة وجعله يطلق تصريحات يمدح فيها ظروف حجزه، في خطوة كان الهدف منها التأثير الأخلاقي والنفسي على الشارع الإسرائيلي والرأي العام الدولي اللذين ينظران إليها في الغالب على أنها حركة متشددة.

ونددت عائلة الرهينة الإسرائيلي المحتجز في قطاع غزة منذ العام 2023، باستخدامه من قبل حماس في حملة "دعائية"، وذلك بعدما نشرت الحركة مقطع فيديو له لليوم الثاني تواليا.

وقالت عائلة أفيتار دافيد البالغ 24 عاما "نحن مجبرون على أن نشاهد ابننا وأخينا الحبيب أفيتار ديفيد وهو يموت جوعا عمدا وباستهتار في أنفاق حماس في غزة. هيكل عظمي حي، مدفون حيا".

وقد أثار نشر حركة الجهاد الإسلامي، ثم حماس، منذ الخميس مقاطع فيديو لرهينتين أحدهما أفيتار دافيد، ضجة في إسرائيل وأعاد إحياء النقاش حول الحاجة إلى التوصل إلى اتفاق تفاوضي مع حماس في أسرع وقت ممكن لتأمين إطلاق سراح جميع الرهائن.

وفي بيانها الصادر السبت والذي سمحت فيه لوسائل الإعلام الإسرائيلية ببث المشاهد، قالت عائلة دافيد إن "ابنها لم يتبق له سوى بضعة أيام للعيش في حالته الحالية".

ونشرت حماس السبت نسخة أطول تمتد حوالي خمس دقائق من مقطع فيديو أفيتار نفسه الذي يظهر فيه الشاب نحيلا جدا ويقف بصعوبة، في نفق بقطاع غزة. وقارن الفيديو مجددا وضع الرهينة بالوضع الإنساني المتردي في غزة، وأكد مستعملا صورة ساعة رملية، ضرورة إيجاد حل في أسرع وقت ممكن إذا أرادت إسرائيل إنقاذ حياة الرهائن.

وظهر الأسير في المقطع المنشور عبر تليغرام، وهو يتحدث من داخل نفق بالتزامن مع حرب الإبادة التي ترتكبها إسرائيل بغزة، قائلا "أريد أن أقول لرئيس الوزراء بنيامين نتنياهو: أشعر بأنه تم التخلي عنّي وعن باقي الأسرى هنا على الإطلاق".

وأضاف "ما أقوم به الآن هو حفر قبري بيدي، جسدي يضعف أكثر مع كل يوم يمر، ومن ناحيتي أنا في طريقي إلى الموت".

> **الأسير الإسرائيلي يعرض ورقة علقها على جدار النفق، سجل عليها تواريخ وجباته اليومية، وتخللتها أيام متكررة دون طعام**

ولفت الأسير الإسرائيلي إلى أن "هذا هو القبر الذي ربما سأوارى فيه،" في إشارة إلى النفق الذي ظهر فيه بالمقطع.

ووجه رسالة إلى الجمهور الإسرائيلي قال فيها "أنتم فقط من يستطيع وقف ذلك، حتى أعود وأنام على سريري مع عائلتي في البيت".

وفي المقطع ذاته، ظهر الأسير الإسرائيلي وهو يعرض ورقة علقها على جدار النفق، سجل عليها تواريخ وجباته اليومية، التي اقتصرت على العدس أو الفاصولياء، وتخللتها أيام متكررة دون طعام.

وقال بتاريخ 27 يوليو الماضي الساعة 12 ظهرا "لا أعلم ماذا سآكل، لم أتناول الطعام منذ أيام، أنا هنا في وضع صعب جدا، منذ شهور لا يوجد طعام لي، وبالكاد أجد ماء للشرب، أتناول فقط القليل من الطعام".

وأضاف "انظروا إليّ، كم أصبحت نحيفا، هذه ليست خيانة بل الحقيقة، لا يوجد طعام، هم يطعموننني بما يستطيعون، لكنني أزداد نحولا يوما بعد يوم، وضعي سيء جدا وضعيف جدا لا يوجد أي شيء، لا لحم، ولا دجاج، ولا أسماك".

وأوضح أن الخبز شبه مفقود، قائلا "حاليا لا أتناول سوى القليل من العدس والفاصولياء، منذ بداية شهر يوليو: في اليوم الأول تناولت عدسا، وفي اليوم التالي كذلك، أما يوم الجمعة 4 يوليو، فلم أتناول شيئا".

وتابع "أسجل كل شيء، اليوم التالي عدس، ثم فاصولياء، ويوم الثلاثاء 8 يوليو لم أتناول أيّ شيء، بعده تكرر العدس والعدس، وفي السبت 12 يوليو لم أتناول شيئا".

وأردف "توالت الأيام عدس ثم عدس، ثم فاصولياء، ويومي 14 و16 يوليو لم أتناول شيئا، بعدها عدس ثم عدس، ويوم الأحد 20 يوليو لم أتناول شيئا، ثم عدس، ثم عدس، ثم ثلاثة أيام لم أتناول خلالها شيئا". وأشار إلى علبة طعام معلب صغيرة الحجم حصل عليها من أحد الأسرى، قائلا "هذه العلبة تكفيني ليومين فقط، حتى لا أموت".

ومن أجل الصورة التي عرضتها حماس للأسير الإسرائيلي يمكن أن تزيد الضغوط عليها، خاصة ما تعلق بنزع سلاحها بالتزامن مع مبادرة دولية تؤسس لحل الدولتين وضمت أغلب الدول العربية، وكان أبرز بنودها دعوة حماس إلى تسليم سلاحها لقوات السلطة الفلسطينية.

وقالت الحركة السبت إنها لن تتخلى عن سلاحها إلا بإقامة دولة فلسطينية مستقلة، وذلك في رد جديد على مطلب إسرائيلي رئيسي لإنهاء الحرب في غزة.

ووصلت المفاوضات غير المباشرة بين حماس وإسرائيل إلى طريق مسدود الأسبوع الماضي. وتهدف المفاوضات إلى ضمان وقف إطلاق نار لمدة 60 يوما في الحرب الدائرة في غزة والتوصل إلى اتفاق لإطلاق سراح الرهائن.

ويوم الثلاثاء، أيدت قطر ومصر اللتان تتوسطان في جهود وقف إطلاق النار إعلانا صادرا عن فرنسا والسعودية يحدد خطوات نحو حل الدولتين لإنهاء الصراع الإسرائيلي – الفلسطيني ويؤكد ضرورة تسليم حماس سلاحها للسلطة الفلسطينية المدعومة من الغرب.

وفي بيانها الصادر السبت أكدت حماس، التي تدير قطاع غزة منذ عام 2007 لكنها تعرضت لضربات عسكرية من إسرائيل في الحرب، أنها لا تستطيع التخلي عن حقها في "المقاومة" المسلحة إلا بإقامة دولة فلسطينية مستقلة ذات سيادة كاملة وعاصمتها القدس.

وأكدت الحركة في البيان أن "المقاومة وسلاحها استحقاق وطني وقانوني ما دام الاحتلال قائما، وقد أقرّته المواثيق والأعراف الدولية، ولا يمكن التخلي عنهما إلا باستعادة حقوقنا الوطنية كاملة، وفي مقدمتها إقامة الدولة الفلسطينية المستقلة كاملة السيادة وعاصمتها القدس".

حلب تستقبل الغاز الأذري بآمال تحسين الخدمات

حلب - مع بدء تدفق الغاز الطبيعي من أذربيجان إلى بلادهم، عبّر سكان محافظة حلب شمالي سوريا عن أملهم أن تسهم هذه الخطوة في تحسين واقع الكهرباء والخدمات والإنتاج في مدينتهم وباقي المحافظات.

وبدأ الغاز الأذري السبت بالتدفق إلى سوريا عبر ولاية كيليس جنوبي تركيا، بتمويل من دولة قطر.

وفي هذا السياق، صرّح وزير الطاقة والموارد الطبيعية التركي ألب أرسلان بيرقدار، بأن خط الغاز الجديد يمكنه تصدير ما يصل إلى ملياري متر مكعب من الغاز الطبيعي إلى سوريا سنويًا، مشيرًا إلى أن هذه الكمية كفيلة بتلبية احتياجات نحو 5 ملايين أسرة من الكهرباء.

وتعاني سوريا منذ أكثر من عقد أزمة حادة في قطاع الكهرباء، نتيجة الحرب التي شهدتها البلاد، ما أدى إلى تراجع كبير في مستوى الخدمات الأساسية والإنتاج الصناعي والزراعي والقطاعات الحيوية الأخرى.

ومع تدفق الغاز الأذري، أعرب مواطنون سوريون في حلب عن أملهم أن ينعكس ذلك على تحسّن ملموس بالحياة الاقتصادية والاجتماعية.

وفي هذا الإطار، عبر المواطن محمد العبدالله عن شكره لجميع الأطراف والبلدان التي تمد يد العون لسوريا.

وأضاف في حديثه للأناضول: إن سوريا في حاجة ماسة إلى الكهرباء والغاز الطبيعي لتحسين واقع الحياة المعيشية.

كما شدد العبدالله، وهو من حلب، على أن "النهوض بسوريا يبدأ بتحسين قطاع التعليم، فهو الأساس لأيّ تطور مستدام".

من جهته، عبّر المواطن عبداللطيف حجو، الذي عاد مؤخرًا من تركيا، عن تفاؤله بانعكاس تدفق الغاز إيجابا على واقع الكهرباء في حلب.

ومضى قائلا "نشكر تركيا على دورها الداعم لسوريا، سواء في تعزيز الأمن أو في إيصال الغاز الطبيعي".

وشدّد المواطن فريد خوجا على أهمية بدء تدفق الغاز الطبيعي في تعزيز القدرة الإنتاجية المحلية، مشيرا إلى أن التحديات الاقتصادية كانت ولا تزال من أكبر المشكلات التي تواجه السوريين.

وقال إلشاد نصيروف نائب رئيس شركة النفط الأذرية (سوكار) لرويترز السبت إن أذربيجان ستصدر 1.2 مليار متر مكعب من الغاز سنويا إلى سوريا من حقل شاه دنيز للغاز في بحر قزوين، والذي تديره شركة بي.بي.

> **الغاز الأذري بدأ السبت بالتدفق إلى سوريا عبر ولاية كيليس جنوبي تركيا، بدعم سياسي من أنقرة وتمويل من قطر**

ودعمت تركيا قوات المعارضة في سوريا المجاورة خلال الحرب التي استمرت 13 عاما وانتهت بالإطاحة ببشار الأسد في ديسمبر، وأصبحت أحد الحلفاء الأجانب الرئيسيين للحكومة السورية الجديدة.

وتسعى أنقرة الآن لتكون طرفا رئيسيا في جهود إعادة إعمار سوريا.

وأدلى نصيروف بالتصريح في جنوب تركيا، بالقرب من الحدود السورية، مع بدء تركيا وأذربيجان تصدير الغاز الطبيعي إلى سوريا.

دروز إسرائيل يجمعون المساعدات لفك الحصار عن دروز سوريا

جولس (إسرائيل) - في قرية جولس الهادئة في الجليل، يعمل متطوعون إسرائيليون دروز على تنظيم المساعدات لأبناء الطائفة الدرزية في سوريا الذين عانوا جراء أعمال عنف طائفية دامية وقعت أواخر يوليو، في ظل ما يجري من حديث عن حصار ينفذه مسلحون محسوبون على الحكومة ضد المحافظة، فيما تقول الحكومة إن المسلحين الدروز يرفضون دخول أيّ مساعدة تأتي من مناطق سيطرة الحكومة.

وعلى أحد جدران مركز القرية الاجتماعي المجاور لضريح الزعيم الروحي للدروز الشيخ أمين طريف الذي يعتبر مزارا لأبناء طائفة الموحدين، علق العلم الدرزي بألوانه الخمسة إلى جانب لافتة كتب عليها باللغة العبرية "خلية أزمة الطائفة الدرزية".

ويشهد المركز حركة مكثفة إذ ينشط المتطوعون فيه ما بين مركز اتصال أقيم لجمع آخر المعلومات القادمة من سوريا، وركن لوجستي لتنسيق جمع المساعدات وتوزيعها، وخلية إعلامية تقوم بحملة عبر الإنترنت للتوعية إلى محنة الدروز في سوريا.

وقال الزعيم الروحي الحالي للدروز في إسرائيل الشيخ موفق طريف "أنشأنا غرفة عمليات هنا لمراقبة ما يحدث في السويداء وفي جميع أنحاء المنطقة، حتى نتمكن من مساعدة إخواننا وأخواتنا هناك".

وشهدت محافظة السويداء ذات الغالبية الدرزية في جنوب سوريا بدءا من 13 يوليو ولمدة أسبوع اشتباكات اندلعت بين مسلحين من البدو ومقاتلين دروز، قبل أن تتوسع مع تدخل القوات الحكومية ومسلحي العشائر إلى جانب البدو فيما تدخلت إسرائيل لاستهداف القوات السورية ودفعها إلى الخروج من المحافظة.

وأسفرت الاشتباكات عن مقتل أكثر من 1400 شخص، العدد الأكبر منهم من الدروز، وفق المرصد السوري لحقوق الإنسان، قبل أن يدخل وقف إطلاق نار حيز التنفيذ في 20 يوليو.

> **الذين جاؤوا للمساعدة يؤكدون أنهم فعلوا ذلك انطلاقا من شعورهم بالمسؤولية تجاه أبناء طائفتهم**

ويتهم السكان السلطات بفرض "حصار" على السويداء، مع تقييدها حركة الوصول إليها، وانتشار قواتها في أجزاء عدة من المحافظة، وهو ما تنفيه دمشق. ولا يزال طريق رئيسي يربط السويداء بدمشق مقطوعا، مع تمركز مجموعات مسلحة محسوبة على السلطة تمنع حركة المرور واستئناف الحركة التجارية، بحسب المرصد السوري.

وأعرب طريف عن أسفه لهذا الوضع، في وقت يسجل فيه بطء في عمليات تسليم المساعدات منذ وصول قافلة المساعدات الإنسانية الأولى في 20 يوليو مع عودة الهدوء إلى السويداء حيث أبلغت اللجنة الدولية للصليب الأحمر عن "ظروف صعبة للغاية" ورفوف فارغة في المتاجر وانقطاع متكرر للتيار الكهربائي.

وأفادت الأمم المتحدة أن نحو 175 ألفا من سكان السويداء نزحوا منها.

وفي جولس، قال سليمان عامر المندفع للمساعدة لوكالة فرانس برس "بمجرد أن سمعنا أن غرفة عمليات أقيمت هنا، جئنا على الفور".

وعاد المهندس البالغ 35 عاما إلى المركز بعد يوم من قضائه ست ساعات في العمل التطوعي فيه.

وأوضح وهو ينظر إلى خريطة السويداء أن فريقه يساعد في "جمع المعلومات وإجراء بعض الأبحاث (..) كم عدد القرى التي تعرضت للهجوم؟ وكم عدد القتلى؟ وكم عدد المخطوفين؟"

وإسرائيل التي تضم أكثر من 150 ألف درزي، بمن فيهم نحو 23 ألفا يعيشون في الجولان المحتل، تقدم نفسها حامية لهذه الأقلية، وتدخلت في الصراع وشنّت في الأيام الأولى ضربات طالت القصر الرئاسي ومقر هيئة الأركان في دمشق وأهدافا عسكرية في السويداء.

ونظم الدروز في إسرائيل تظاهرات طالبوا فيها الحكومة بالدفاع عن أبناء طائفتهم في سوريا، بل وعبر مئات منهم من الجولان إلى سوريا، رغم أن البلدين ما زالا في حالة حرب منذ العام 1967، تاريخ احتلال إسرائيل لجزء من هضبة الجولان، وخاضا آخر حرب عام 1973.

وندد المتطوع أكرم الذي أفصح فقط عن اسمه الأول لأسباب تتعلق بالخصوصية بقلة الاهتمام والدعم الدوليين، معربا عن خشيته من أن قادة سوريا الجدد لم يقطعوا صلتهم بماضيهم الجهادي.

مساعدات محدودة وبطيئة

العرب
الأحد 2025/08/03
السنة 48 العدد 13564

المسؤولون عن اختزال حرب غزة في المساعدات الإنسانية

حملة ملتبسة لاستهداف الدور المصري رغم المساعدات

محمد أبوالفضل
كاتب مصري

اختزلت النتيجة التي وصلت إليها الحرب الإسرائيلية على قطاع غزة في ملف منع أو دخول المساعدات الإنسانية، وشغلت قوى إقليمية ودولية عديدة بالمشاهد القاسية التي تتناقلها وكالات الأنباء والفضائيات، وأصبح همّ الكثير من القادة والزعماء تخفيف العبء المعنوي، وأرسل الرئيس الأميركي دونالد ترامب مبعوثه الخاص إلى غزة ستيف ويتكوف وسفيره في إسرائيل مايك هاكابي، الجمعة، للوقوف على حجم المأساة، وما إذا كانت هناك إبادة ومجاعة حقيقية أم لا؟

أشارت الزيارة إلى أن صور الأقمار الاصطناعية والمعلومات التي تصله عبر أجهزة الاستخبارات غير موثوق فيها، ولا تعرف جيدا ما يجري على الأرض، أو أن البيانات التي تصل من الحكومة الإسرائيلية ورئيسها بنيامين نتنياهو مضللة، كما أشار الكاتب الأميركي توماس فريدمان في مقال نشره في صحيفة "نيويورك تايمز" قبل أيام بعنوان "كيف خدع نتنياهو ترامب في غزة".

كل الأطراف المعنية بما يجري في غزة تعلم حجم الأزمة وتشابكاتها وتفريعاتها، والولايات المتحدة ليست في حاجة إلى إرسال مبعوث، لكن هناك حاجة تكتيكية للتركيز على المكونات الإنسانية، اتفقت أطراف مختلفة عليها، بشكل مباشر أو ضمني، للتنصل من العمل الشائك الذي تتطلبه مفاوضات عقد صفقة لتبادل الأسرى بين إسرائيل وحركة حماس، والوصول إلى وقف لإطلاق النار، والدخول في المرحلة التالية من وقف الحرب، وجميعها خطوات تتطلب جهودا مضنية، ومواجهة تحديات متراكمة، لا أحد لديه الاستعداد الكافي لمواجهتها.

وكان القفز على البعد الإنساني حلا عاطفيا، قد يحقق لمن دفعوا إليه بعضا من أهدافهم التي يسعون إليها. وللمزيد من التشويش تم الزج باسم مصر من قبل إسرائيل وحماس، وتحميلها جزءا من مسؤولية تعثر دخول المساعدات، واتهامها زورا بغلق معبر رفح.

هناك ثلاثة جبهات رئيسية لها مصلحة في تضخيم الشق الإنساني في حرب غزة، وجميعها دخلت عليه للتغطية على أو التخفيف من العجز في تحقيق اختراق في الشق السياسي أو تجاوزه حاليا، والإيحاء بوجود اهتمام بمأساة سكان غزة، وعدم الموافقة على استمرار المجاعة، والتنصل من سيناريو الإبادة أو التهجير التدريجي.

الجبهة الأولى، هي الولايات المتحدة، فلا يوجد شك في تواطؤ ترامب مع مخططات نتنياهو، والاتفاق معه على استثمار الوقت لاستكمال عملية تفريغ غزة من سكانها، وقدمها الرئيس الأميركي كمقترح بعد أيام قليلة من دخوله البيت الأبيض، وتم التحايل عليه بالتراجع تارة والتهدئة تارة أخرى، ولم يتخل عنه الرجل تماما، وكان يعود إليه بصياغات متباينة، حتى داهمته أزمة المساعدات أخيرا، ومنحته فرصة لإدارتها بصورة جديدة كعملية سياسية، وبعد فشل مؤسسة غزة للمساعدات الإنسانية في أداء مهمتها، بسبب فضيحة ضحايا لقوا مصرعهم وهم على أبوابها، بدأت واشنطن توظف التداعيات السلبية بطريقة مراوغة.

وبدلا من الذهاب إلى وقف إطلاق النار، والضغط على نتنياهو لتوقيع صفقة متوازنة، أرسل ترامب مبعوثه الخاص إلى إسرائيل وكلفه بزيارة استعراضية سينمائية إلى غزة، بعنوان إنساني جذاب، وجاء ستيف ويتكوف ورحل ولم يتطرق سوى إلى هذا الشق، ويمكن أن يستغرق وقتا طويلا، ويعفي واشنطن من المسؤولية السياسية عن الحل، ويبعد شبح الاهتمام الدولي عن تشجيع الاعتراف بدولة فلسطينية، الذي رفضته الإدارة الأميركية، لكن تخشى أن يتحول إلى كرة ثلج تحرج ترامب، فكان اهتمامه بالبحث عن آلية لإدخال المساعدات كمسكّن لوقف الضجيج الذي يتزايد حوله.

> اسم مصر تم الزج به من قبل إسرائيل وحماس، وتحميلها جزءا من مسؤولية تعثر دخول المساعدات، واتهامها زورا بغلق معبر رفح

الجبهة الثانية، هي إسرائيل، حيث درج رئيس حكومتها بنيامين نتنياهو على التنصل من أيّ محاولة سياسية تقوده إلى التوقيع على صفقة مع حماس تؤدي إلى وقف الحرب، وبالغ عمدا في الحصار وتقزيم عملية دخول المساعدات وإسنادها إلى مؤسسة ارتكبت جرائم عدة، ليرضي اليمين المتطرف ويؤكد أنه لم يرضخ لخصومه، ويحرف الحرب عن شكلها السياسي ويضعها دوما في بعد إنساني، يجرف مع الوقت طموحات العودة إلى مفاوضات تناقش مستقبل القضية الفلسطينية، وتفاصيلها الخاصة بالحدود واللاجئين وحق العودة والمستوطنات والقدس الشرقية، ويمنح لنفسه وقتا للمزيد من تقطيع أوصال الضفة الغربية، وهو ما يسعى لتطبيقه في غزة.

نجحت ممارسات نتنياهو في أن يجعل العالم يتوقف عند ما يدور في القطاع من زاوية إنسانية، وينحّي زوايا أخرى فلسطينية ذات أهمية إستراتيجية، فالكل يتحدث عن عدد الشاحنات التي تدخل، ونوعية الطائرات التي تلقي مساعدات ومن أيّ دولة، ويتأسى الكثيرون على مشاهد الأطفال وهم جوعى الذين منحتهم بعض الفضائيات اهتماما لافتا، كأن هؤلاء هم القضية وحدها، واختفى الحديث عن انسحاب إسرائيل من محاور نتساريم ومواراغ وفيلادلفيا ووقف ضم المزيد من الأراضي على حدود غزة، وغياب الإشارة إلى شكل القوات العاملة في غزة، وبات لا صوت يعلو فوق صوت المساعدات الإنسانية، وهو غاية ما يريده نتنياهو.

الجبهة الثالثة، وهي حماس، فقد اعتقدت الحركة في التركيز على الشق الإنساني أنها وجدت فرصة في إقامة الحجة على بشاعة ما تقوم به إسرائيل، متجاهلة أن إظهار هذه البشاعة أمر مقصود، لإرهاب الفلسطينيين المتمسكين بالبقاء في غزة، وحثهم على الرحيل عنها، قسريا أو طوعيا، وربما أغمضت حماس عينيها عن هذه النتيجة الواضحة، فما يعنيها إثبات عدم قدرة قوات الاحتلال على اقتلاعها من جذورها وإجبارها على تسليم المحتجزين، بينما يبدو أن إسرائيل تركتهم لتحصل على حرية حركة عسكرية واسعة في غزة، وتستغل حماس كعقبة أمام وقف الحرب.

تكمن سعادة حماس في تحرك المجتمع الدولي بعد انتشار مشاهد الجوع، وأنها حسبت أن العالم سيسعى لوقف الحرب فورا، لكن ما حدث أن وجود الحركة في غزة أصبح حجر عثرة لوقف الحرب، والاعتراف بالدولة الفلسطينية، وهو ما تعرفه تل أبيب جيدا، ولفرملة طوفان الاعترافات روجت إسرائيل سريعا أن ما تعتزم القيام به فرنسا وبريطانيا وكندا وغيرهم يصبّ في صالح حماس، ويعد مكافأة لها، ولذلك جاء بيان مؤتمر نيويورك حول حل الدولتين مشروطا بتخلي حماس عن سيطرتها على غزة وتسليم سلاحها.

تستشعر الحركة بالخطورة، وتضاعف من جهودها للاستفادة من الشق الإنساني، وهو ما تقاطعت فيه مع إسرائيل، ووضعها في خانة واحدة معها، وطغت المساعدات في أجندة حماس على غيرها من الملفات المصيرية، مثل انسحاب قوات الاحتلال ووقف الحرب، وعلمت أن هذه النتيجة لن تُبقي الحركة على قيد الحياة السياسية والعسكرية، حيث تهيئ الأجواء للحديث عن تسوية للقضية الفلسطينية، لا وجود لحماس فيها.

تقع مسؤولية حصر ما يجري في الشق الإنساني على عاتق الولايات المتحدة وإسرائيل وحماس، والمفاتيح المؤثرة التي تملكها كل جبهة تخلق صعوبة للتطرق إلى ملفات أخرى، في هذه المرحلة على الأقل، لأن البحث عن حل لتنظيم دخول المساعدات والآلية الناجعة لها يستغرق وقتا، بسبب الحرص المفرط على توظيف التجاذبات، وما يحدث لتخفيف مشاهد المجاعة المؤذية سيكون مؤقتا، بما يمكن من العودة إليها مرة ثانية لاستئناف الكر والفر وراء الشاحنات، والهروب من قضايا حيوية.

دمشق وموسكو أمام اختبار المصالح

أمجد إسماعيل الآغا
كاتب وباحث سياسي

تعيش سوريا لحظة تحوّل هي الأكثر جذريّة منذ عقود، حيث استُبدلت المنظومة الأمنية لنظام بشار الأسد بإدارة سورية جديدة فرضتها ضرورات الواقع والتحولات الدولية، حيث تجد هذه الإدارة نفسها مجبرة على انتهاج براغماتية مغايرة من خلال بناء توازن بين قوى إقليمية ودولية متعددة، وإعادة تعريف العلاقات التاريخية مع موسكو بعد سنوات من التدخل العسكري والدعم السياسي الروسي المكثف لنظام الأسد.

في هذا السياق، يصبح السؤال مفتوحًا حول المستقبل: كيف تُقيّم العلاقة بين دمشق وموسكو اليوم، وإلى أين تتجه المصالح المشتركة إن وجدت؟.

العلاقة بين الإدارة السورية الجديدة وروسيا اتخذت بعد سقوط النظام طابعاً "تعاملاتيًا" بحتاً، حيث انحسرت الحميمية والارتهان السياسي اللذين ميزا مرحلة الأسد لصالح براغماتية تفرضها قوة الحدث وحجم التحديات؛ فدمشق الجديدة جاءت مدعومة خليجياً وتركيًا بالدرجة الأولى، بينما امتنع الروس سريعًا عن الدعم الإغاثي مع تصاعد العزلة الغربية عليهم وتوجه النظام السوري نحو إعادة اندماج مع أوروبا والمنطقة.

روسيا ترى في القواعد العسكرية في حميميم وطرطوس نقطة نفوذ إستراتيجي خاصة مع استمرار تصاعد المواجهة مع الغرب، وضمن ذلك فهي تحاول تمرير اتفاقيات جديدة تضمن بقاء وجودها العسكري ولو بشكل "مفاوض عليه،" إذ تعوّل على ضعف الدولة السورية الراهنة واحتياجها للشرعية الدولية كورقة ضغط في التفاوض، لكن دمشق لم تعد في موقع الارتهان الكامل لموسكو، بل بدأت تماطل وتطالب بتعويضات، وتربط استمرار القواعد الروسية بتنازلات مادية وسياسية محددة، حتى أنها طالبت في وقت سابق بتسليم الأسد نفسه كشرط لتحسين العلاقة؛ كل هذا يؤشر على انتقال العلاقة إلى منطقة جديدة من الصفقات الباردة.

من جانبها، ترغب موسكو بالحفاظ على "حد أدنى" من التأثير، لكن دون تورط مباشر قد يتحول إلى عبء، خصوصاً أن بيئة سوريا ما بعد الأسد لم تعد حاضنة شعبياً أو سياسياً للروس وذلك على خلفية سنوات القصف والتدخلات، إلى درجة أن بعض أطياف الإدارة الجديدة يتمنون رحيل الروس بالكامل، مع أملهم بانفتاح أكبر على الغرب وإعادة الإعمار عبر أوروبا والخليج.

هذه البراغماتية تفرض على الطرفين السير بحذر في مسار إعادة ضبط العلاقات بالمستويات كافة؛ دمشق تستفيد من موسكو كورقة تفاوض وشرعية مؤقتة عند الحاجة، وروسيا تحاول أن تظهر كوسيط و"ضامن استقرار" من أجل الاحتفاظ بحصة في ترتيبات إعادة الإعمار الإقليمي والدولي، لكنها تدرك أن فترة الامتيازات القديمة قد انتهت.

الاستقرار الحقيقي في سوريا لن يتأتى عبر محور أحادي وهذا ما تدركه الإدارة الجديدة، بل يحتاج الأمر إلى تشبيك ذكي بين القوى الإقليمية والدولية الأكثر تأثيراً مثل الولايات المتحدة وتركيا والخليج وأوروبا، وربما لاحقاً روسيا، فالشراكة مع روسيا يمكن توظيفها لتقليل مخاطر التدخلات والتنافس الإقليمي، بشرط ألا تتحول إلى عائق أو عبء في علاقات سوريا المستقبلية مع الأطراف الأقوى اقتصادياً وسياسياً. في المقابل ثمة منهج عملي تتخذه الإدارة السورية الجديدة يمكن إيجازه ببضع نقاط أساسية:

أولاً- إعادة التوازن: تعمل دمشق الجديدة على هندسة تفاوض متزن مع موسكو حول القواعد العسكرية يراعي المصالح السورية ويستثمر حاجة الروس للبقاء دون إرهاق الخزينة أو السيادة.

ثانياً- فتح قنوات مع الجميع: تحاول دمشق تبني سياسة عدم الانحياز لمحور دولي وحيد، بل بناء عقود شراكة متوازنة مع الخليج وتركيا وأوروبا وروسيا، وعدم قطع خطوط التواصل مع أميركا.

ثالثاً- إشراك جميع القوى المحلية: إن نجاح أيّ تشبيك خارجي هو مشروط ببناء شرعية داخلية جديدة عبر شمول أكبر ممكن من القوى السورية المتنوعة في النظام الجديد.

رابعاً- ربط الاستقرار بالاقتصاد: حيث تحاول دمشق جعل أيّ اتفاق مستقبلي مع روسيا أو غيرها مشروطًا بفوائد اقتصادية حقيقية لا مجرد أوراق ضغط عسكرية أو سياسية.

> دمشق تستفيد من موسكو كورقة تفاوض عند الحاجة، وروسيا تحاول أن تظهر «ضامن استقرار» للاحتفاظ بحصة في ترتيبات إعادة الإعمار

بهذا المعنى ثمة مواءمة سياسية وإستراتيجية أو يمكن تسميتها بلعبة المواءمة بين موسكو ودمشق، وضمن المواءمة السياسية، فإنه وبعد سقوط نظام الأسد فقدت دمشق "الوصاية" الروسية المباشرة لكنها ظلت في حاجة إلى موسكو كطرف ضامن أمام الغرب "وربما تركيا" ولإشعار المجتمع الدولي أن هناك قوة كبرى مازالت تؤمن بوحدة سوريا وتستثمر باستقرارها.

وموسكو من جهتها باتت تدرك أن النخبة الحاكمة الجديدة في سوريا ليست امتداداً آلياً لحكم الأسد، بل لديها مقاربات براغماتية متفاوتة ورغبة بالخروج من نظام التبعية.

في المواءمة الإستراتيجية، فإن دمشق تبحث عن التوازن الأمني الحساس، بمعنى أن دمشق تحتاج إلى الروس كقوة ردع يتم استخدامها في توقيت خاص أمام التغلغل التركي أو الإيراني أو أيّ موجة فوضى جديدة من الشمال، لكنها حذرة من إعطاء موسكو تفويضًا مفتوحًا لتقرير مصير البلاد أو تمديد بقاء القواعد العسكرية بما يتجاوز الجغرافيا التقليدية في حميميم وطرطوس.

في المقابل فإن الإستراتيجية الروسية تركز فعلياً على مقاربة "البقاء الذكي" وذلك ليس بالتورط العسكري القديم بل عبر حضور سياسي ووجود عسكري رمزي وتوقيع اتفاقيات طويلة الأمد في مجالات الطاقة أو الإعمار، بحيث تضمن مصالحها دون استنزاف مواردها أو استفزاز شركاء دمشق الجدد في الخليج وتركيا وأوروبا، وضمن ذلك تسعى دمشق إلى تدوير النفوذ الروسي وفتح الباب لمشاريع مشتركة متعددة الجنسيات، فتضع الروس ضمن توازن دولي أوسع يمنعهم من فرض إرادتهم منفردين.

هنا تبدأ لعبة "المواءمة" بين موسكو ودمشق؛ فالروس يريدون إبقاء أوراقهم مؤثرة في الملف السوري، وتضغط دمشق لتحقيق المزيد من الاستقلالية السياسية وتوظف حاجة موسكو للحضور كورقة تفاوض في ملفات أخرى مع الغرب كالنفوذ في البحر المتوسط أو ملف أوكرانيا، بينما تبرز سياسياً مواءمة دمشق في قبول الجلوس مع موسكو كوسيط أو ضامن بمسائل إعادة الإدماج والانتقال السياسي، مع الاحتفاظ بحق النقد والضغط وأحياناً العرقلة كتعبير عن رفض أيّ هيمنة روسية مباشرة.

لا شك بأن هناك تحديات تتعلق بالمواءمة السياسية والإستراتيجية بين موسكو ودمشق، خاصة أن الشرعية المنقسمة داخلياً تفرض على دمشق الجديدة التصرف بمرونة شديدة، خوفًا من استغلال الخارج لأيّ صدع سياسي. لذلك تحرص الإدارة السورية الجديدة على مشاركة موسكو في ملفات حساسة كالحدود وتسليح الجيش، لكنها لا تسمح بالاستفراد، إضافة إلى أن العقوبات الدولية تضيّق الهامش على موسكو داخلياً وتقلل قدرتها على ضخ استثمارات أو مساعدة إغاثية، ما يجعل حضورها في سوريا عرضة للمساومة، كما أن أيّ تصعيد كبير بين روسيا والغرب يؤثر فوراً على قدرة السوريين والروس في الحفاظ على "تفاهم مرحلي،" ويُجبر الجميع على مراجعة الحسابات.

في الخلاصة، تسير العلاقة بين موسكو ودمشق الجديدة في مسار براغماتي، أساسه المصالح لا الولاءات، والتنافس بين "النفوذ" الروسي و"الفرص" الخليجية والتركية والأوروبية لصالح سوريا بات واضحًا، فالوصول إلى استقرار داخلي لن يكون إلا بحسن إدارة هذا التشبيك وامتلاك قرار وطني قوي، يُحسن اللعب على التناقضات الخارجية، ويُعيد بناء الثقة داخليًا، خاصة أن ساحة سوريا الجديدة مفتوحة لبراغماتية ذكية شرط ألا تضيع السيادة أو ترتدّ براغماتية اللحظة إلى صفقات مؤقتة تجهض الحلم بالدولة.

كما أن المواءمة اليوم بين دمشق وموسكو قائمة أساساً على معادلة متغيرة قوامها قدر من التعاون والتنسيق لتثبيت الاستقرار والاستفادة المتبادلة، مقابل قدر من الحذر والتحفظ للحفاظ على أرضية استقلال القرار الوطني ومنع أيّ استحواذ روسي منفرد، وبذلك فإن الإدارة السورية الجديدة تحاول لعب دور "مدير التوازنات"، والروس، رغم تراجع نفوذهم منذ سقوط نظام الأسد، إلا أنهم يستخدمون الصبر الإستراتيجي ليحتفظوا بمقعد في صياغة أيّ حل نهائي للملف السوري.

من الصعوبة تجاوز مخلفات الماضي

العرب
الأحد 2025/08/03
السنة 48 العدد 13564

هل تكتب زيارة ميلوني فصلاً جديداً في العلاقات التونسية - الإيطالية

علي قاسم
كاتب سوري

زيارة رئيسة الوزراء الإيطالية جورجيا ميلوني إلى قصر قرطاج في تونس، حيث استقبلها الرئيس قيس سعيّد، لم تكن مجرد لقاء دبلوماسي تقليدي عابر، بل فصل من فصول قصة طويلة من العلاقات بين تونس وإيطاليا، قصة بدأت قبل قرون على ضفتي البحر الأبيض المتوسط، عندما كانت سفن القرطاجيين تحمل شحنات الحبوب إلى صقلية، وكان التجار الإيطاليون يأتون للاستقرار في تونس تحت الحكم الفرنسي. كانت العلاقات مزيجاً من التعاون والتحدي. اليوم، وفي ظل زيارة ميلوني، تتجدد هذه القصة برؤية طموحة لشراكة إستراتيجية، لكنها ليست خالية من العقبات.

لم تكتشف أوروبا أهمية تونس مؤخراً.. في زمن قرطاج، كانت تونس مركزاً تجارياً يربط بين دول المتوسط، وكانت السفن تنقل الزيتون والنبيذ إلى المدن الإيطالية. حينها كانت تونس المصدر الرئيسي لتزويد روما بالحبوب، خاصة القمح، ومن هنا جاءت تسميتها بـ"مطمورة روما" (باللاتينية Granarium Romae أو "مخزن روما. هذا الوصف يعكس الأهمية الاقتصادية والزراعية الكبيرة لتونس في الإمبراطورية الرومانية، حيث كانت أراضيها الخصبة، خاصة في مناطق مثل وادي مجردة، تنتج كميات وفيرة من الحبوب التي كانت تُنقل عبر البحر الأبيض المتوسط لتلبية احتياجات روما.

لكن هذه العلاقات التجارية تحولت إلى صراعات خلال الحروب البونيقية، لتنتهي بسيطرة روما على تونس. في العصور الوسطى، عاد التواصل مع حكم الأغالبة لصقلية، حيث ازدهرت التجارة والثقافة، وتركت العمارة الإسلامية بصماتها في شوارع باليرمو. في القرن التاسع عشر، هاجر آلاف الإيطاليين، معظمهم من صقلية، إلى تونس بحثاً عن حياة أفضل، فأسسوا مزارع ومدارس، وأحضروا معهم نكهات المطبخ الإيطالي التي اندمجت مع الكسكس التونسي.

الروابط التاريخية خلقت نسيجاً فريداً من التفاعل الاقتصادي والثقافي والاجتماعي بين إيطاليا وتونس. واليوم، مع وجود 250000 تونسي في إيطاليا و900 شركة إيطالية توظف 70000 تونسي، تظل هذه القصة حية، تحمل في طياتها إرثاً من التبادل والتفاهم.

العلاقات بين تونس وإيطاليا المبنية على قرون من التفاعل لديها القدرة على أن تكون نموذجاً للتعاون الإقليمي شريطة أن تتجاوز التحديات الراهنة برؤية مشتركة للمستقبل

في قصر قرطاج، ناقش الرئيس قيس سعيّد وضيفته قضايا تمس جوهر العلاقات بين البلدين. وكانت الهجرة غير النظامية البطل الرئيسي للنقاش. تونس، التي أصبحت ممراً لآلاف المهاجرين من أفريقيا جنوب الصحراء نحو سواحل إيطاليا، تجد نفسها في مواجهة مشكلة تفرض نفسها بقوة وتحتاج إلى حل جذري. قيس سعيّد تحدث بقوة عن رفض بلاده أن تكون "معبراً أو مستقراً" لهؤلاء المهاجرين، مشيراً إلى أن تونس نفسها ضحية نظام دولي ظالم. كلماته حملت نبرة واضحة، لكنها عكست أيضاً رغبة في إيجاد حلول مشتركة.

ميلوني، هي الأخرى، جاءت برؤية واضحة: خطة "ماتي لأفريقيا"، التي أطلقتها في 2022، ليست مجرد إستراتيجية للحد من الهجرة، بل محاولة لإعادة كتابة قصة العلاقات مع أفريقيا. هذه الخطة، التي تتضمن مشاريع مثل "تانيت" لاستصلاح الأراضي الزراعية باستخدام مياه الصرف الصحي، وخط الكهرباء "الماد" لربط إنتاج الطاقة الأفريقية بأوروبا، تحمل وعداً بتحويل تونس إلى مركز إقليمي للتنمية. لكن القصة ليست بهذه البساطة. التمويلات الأوروبية، مثل 127 مليون يورو المخصصة في 2023، لم تتمكن بعد من تغيير الواقع على الأرض، حيث تستمر قوارب المهاجرين في الإبحار نحو إيطاليا.

تناول الاجتماع مواضيع تتعلق بقطاعات الطاقة والزراعة، وهما عمودان أساسيان للتعاون التونسي – الإيطالي. مشروع "الماد"، الذي يهدف إلى جعل تونس مركزاً لنقل الطاقة المتجددة إلى أوروبا، يحمل في طياته حلماً كبيراً: تحويل المتوسط إلى شبكة طاقة متكاملة. الشركات الإيطالية، مثل "إيني"، مستعدة للاستثمار في الطاقة الخضراء، لكن الطريق إلى هذا المشروع الطموح مليء بالتحديات. التوترات السياسية الداخلية منذ ثورة 2011 تجعل المستثمرين الإيطاليين حذرين. ومع ذلك، فإن التاريخ يعلمنا أن التعاون الاقتصادي بين البلدين كان دائماً مصدر قوة، من تجارة القمح القرطاجي إلى تصدير زيت الزيتون اليوم.

العلاقات التونسية – الإيطالية أعمق من أن تكون علاقات دبلوماسية فقط. خارج جدران قصر قرطاج، تستمر قصة الشعبين التونسي والإيطالي في النمو. في شوارع تونس وسوسة وحلق الوادي، لا تزال نكهات المعكرونة الإيطالية تختلط بالهريسة التونسية، بينما يحمل الكسكس في صقلية بصمات المطبخ التونسي. الجالية التونسية في إيطاليا، التي تضم ربع مليون شخص، تبني جسوراً من خلال الجمعيات الثقافية والمهرجانات المشتركة. لكن هذه الجسور تواجه تحديات. صور المهاجرين على قوارب مكتظة في لامبيدوزا تثير توترات في إيطاليا، بينما يرى التونسيون أن بلادهم تتحمل عبئاً لا يستحقونه. زيارة ميلوني حملت وعداً بتعزيز الحوار، لكن تحقيق هذا الوعد يتطلب استثماراً أكبر في الفعاليات المشتركة وبرامج التبادل الأكاديمي.

لم يغفل الجانبان الحديث في القضايا الإقليمية، حيث أكد الرئيس سعيّد موقف تونس الداعم للحق الفلسطيني في دولة مستقلة. كانت كلماته تعبيراً عن مشاعر الشعب التونسي، لكنها ربما لم تجد صدى كاملاً لدى ميلوني، التي تتحرك ضمن إطار السياسات الأوروبية الأكثر حذراً. ومع ذلك، فإن هذا الحوار يعكس طموحاً لتوسيع العلاقات لتشمل دوراً إقليمياً، حيث يمكن لتونس وإيطاليا أن تكونا وسيطتين في المتوسط. هذه الرؤية تتطلب توافقاً أكبر، لكنها تضيف بعداً جديداً للقصة.

كما في أيّ قصة، هناك عقبات. الاتفاقيات السابقة، مثل مذكرة التفاهم مع الاتحاد الأوروبي في 2023، واجهت انتقادات في أوروبا بسبب ما يُروَّج عن "تراجع الحقوق" في تونس. هذه الانتقادات تذكرنا بأهمية الشفافية في أيّ شراكة. تونس، من جانبها، في حاجة إلى تحقيق توازن دقيق بين علاقاتها مع إيطاليا وشركاء آخرين مثل فرنسا. أما إيطاليا، فتواجه تحدياً في موازنة طموحاتها الإقليمية مع التزاماتها الأوروبية. وفوق كل ذلك، يبقى السؤال: هل يمكن لخطة "ماتي" أن تحوّل الحلم إلى واقع، أم ستبقى مجرد فصل آخر في قصة مليئة بالنوايا الحسنة؟

عندما غادرت ميلوني قصر قرطاج، تركت خلفها أملاً في شراكة إستراتيجية. زيارتها في يوليو 2025 تؤكد أهمية العلاقات التونسية – الإيطالية كركيزة للاستقرار في المتوسط. وبينما تظل قضية الهجرة الهاجس الأبرز، فإن التعاون في الطاقة، الزراعة، والتنمية يفتح آفاقاً واعدة لشراكة إستراتيجية. لكن نجاح هذه الشراكة يتطلب التزاماً متبادلاً بالشفافية، الاستثمار في التنمية المستدامة، وتعزيز الروابط الثقافية والاجتماعية التي تجمع الشعبين.

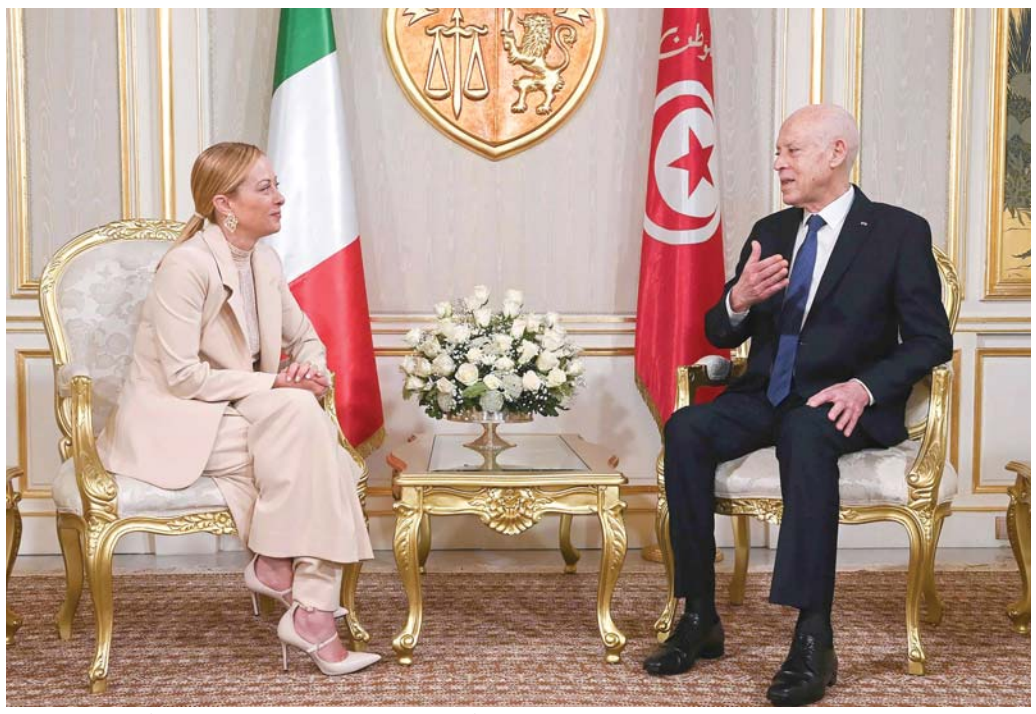

العلاقات التونسية - الإيطالية ركيزة للاستقرار في المتوسط

العلاقات التونسية - الإيطالية أعمق من أن تكون دبلوماسية فقط.. في شوارع تونس وسوسة تختلط نكهات المعكرونة الإيطالية بالهريسة بينما يحمل الكسكس في صقلية بصمات المطبخ التونسي

إن العلاقات بين تونس وإيطاليا، المبنية على قرون من التفاعل، لديها القدرة على أن تكون نموذجاً للتعاون الإقليمي، شريطة أن تتجاوز التحديات الراهنة برؤية مشتركة للمستقبل. القصة مستمرة، والفصل التالي يعتمد على إرادة البلدين لكتابته معا.

لبنان على حافة إعادة تعريف معادلة السلاح

مالك الحافظ
كاتب وباحث سوري

يبدو أن لبنان يدخل مع الخطاب الأخير لرئيس الجمهورية العماد جوزيف عون مرحلة سياسية تتجاوز مجرد سجال داخلي حول "سلاح حزب الله" إلى ما يمكن اعتباره محاولة فعلية لإعادة صياغة المعادلة الأمنية – السياسية التي حكمت البلاد منذ ما بعد اتفاق الطائف.

الخطاب الذي أتى من موقع رمزي عال، في عيد الجيش، حمل أكثر من رسالة، الأولى تمثلت بتوفير مظلة سياسية صلبة للحكومة ورئاسة الوزراء للمضي في ملف احتكار السلاح بيد الدولة. والثانية جاءت في إطار صياغة رؤية شبه مكتملة المعالم لتنفيذ هذا الهدف ضمن إطار دولي – إقليمي محدد المعالم، لا يخلو من دعم غربي – عربي مباشر.

تصريحات الرئيس عون لم تكتفِ بالإشارة المبدئية إلى ضرورة احتكار السلاح، بل أرفقتها ببرنامج عمل محدد يتضمن تفاوضاً مباشراً مع الولايات المتحدة، وتنسيقاً مع رئيس الحكومة نواف سلام ورئيس مجلس النواب نبيه بري، رغم التعقيد المعروف في علاقة الأخير بحزب الله. فالملامح العملية للخطة ليست تفصيلية فحسب، بل تحاول أن تضع على الطاولة مقاربة شاملة تتركز في وقف الاعتداءات الإسرائيلية، وبسط سلطة الدولة على كامل الأراضي اللبنانية، وجمع السلاح وتسليمه إلى الجيش، وربط هذه العملية ببرنامج تمويلي طويل الأمد للجيش وقوى الأمن، وإطلاق مؤتمر دولي لإعمار لبنان.

هذا الربط بين ملف السلاح وبرامج التمويل الدولي يحمل بعدين أساسيين، أولهما بأن الإيحاء للمجتمع اللبناني بأن التخلي عن السلاح خارج الدولة لن يكون تنازلاً مجانياً، وإنما جزء من مقايضة كبرى تشمل إعادة بناء الاقتصاد والبنية التحتية. وثانياً، إرسال إشارة للمجتمع الدولي بأن بيروت مستعدة لربط الإصلاح الأمني بمشاريع دعم ملموسة، بما قد يحفّز المانحين على الانخراط في عملية سياسية – اقتصادية متكاملة.

رئيس الحكومة نواف سلام يظهر في هذا السياق كضابط الإيقاع التنفيذي للخطة. فبينما يتقدم رئيس الجمهورية بالخطاب السياسي، تتحرك رئاسة الوزراء في المسار التفاوضي العملي، سواء في صياغة تعديلات على المسودة الأميركية أو في التحضير لعرضها على مجلس الوزراء. هذا التوزيع في الأدوار بين الرئاسة ورئاسة الحكومة يعكس إدراكاً بأن المعركة معقدة ومتعددة الجبهات؛ سياسية – قانونية – دبلوماسية – أمنية، وأن أيّ خلل في التنسيق قد يفشل المشروع قبل أن يبدأ.

التمويل الدولي المقترح للجيش سيكون أداة سياسية لضمان بقاء لبنان ضمن فلك «الدولة الرسمية» لا «الدولة الموازية»

لكن في المقابل، لا يمكن إغفال أن رئيس الحكومة يتحرك في حقل ألغام داخلي، حيث يتحتم عليه أن يقنع أطرافاً في الحكومة والبرلمان، بعضها حليف أو قريب من حزب الله، بالموافقة على مسار يهدد الركيزة العسكرية للحزب. هنا يظهر التحدي الأكبر في قدرة السلطة التنفيذية على بناء جبهة سياسية داخلية صلبة، وهو ما قد يفسر إصرار الرئيس عون على دعوة "البيئة الوطنية الكريمة" للحزب إلى الانخراط في المشروع، محاولةً كسب غطاء شعبي يوازي الغطاء السياسي.

بالنسبة إلى حزب الله، القضية ليست مجرد سلاح. إنها تتعلق بجوهر دوره في لبنان وشرعية وجوده السياسي – العسكري منذ الثمانينات. الحزب يدرك أن تسليم سلاحه يعني فقدان ورقة قوته الأساسية أمام إسرائيل، وتراجع نفوذه الإقليمي، وخسارة قدرته على التأثير في المعادلة الداخلية. لذلك، من المرجح أن يواجه أيّ محاولة لسحب سلاحه بمروحة من أدوات الرد، تشمل على الصعيد السياسي تعطيل مسار الحكومة عبر الكتلة الوزارية والبرلمانية المؤيدة له، ورفع شعار "المقاومة" كقضية وطنية كبرى لمنع تحويل المسألة إلى قرار إداري – تنفيذي.

وعلى الصعيد الأمني الميداني، تتمثل في إبقاء مناطق نفوذه في الجنوب والبقاع كأرض مغلقة أمام أيّ عملية تجريد سلاح فعلية، عبر شبكات دعم محلية وقواعد أمنية متماسكة. بينما إعلامياً وخطابياً فيعمل على توسيع حملات التشكيك في نيات الخطة، واتهامها بأنها مشروع أميركي – إسرائيلي لتجريد لبنان من عناصر قوته في مواجهة إسرائيل.

التحرك الرئاسي في لبنان يأتي في لحظة إقليمية حساسة. إسرائيل تعيد تصعيد اعتداءاتها على لبنان، والولايات المتحدة تعيد تفعيل أدواتها الدبلوماسية في بيروت، والسعودية وفرنسا تبحثان عن دور في إعادة ترتيب البيت اللبناني. من الواضح أن واشنطن ترى في هذه اللحظة فرصة لتثبيت "اتفاق وقف نار" على الحدود، وربطه بعملية داخلية لتقييد سلاح حزب الله. لكن نجاح هذا المسار قد يحتاج إلى توافق إقليمي – دولي أوسع.

التمويل الدولي المقترح للجيش لن يكون فقط دعماً مادياً، بقدر ما سيكون أداة سياسية لضمان بقاء لبنان ضمن فلك "الدولة الرسمية" لا "الدولة الموازية". في المقابل، أيّ فشل في تنفيذ الخطة أو تراجع المانحين سيعيد تعزيز سردية حزب الله عن "تآمر الخارج" على لبنان.

نجاح خطة احتكار السلاح بيد الدولة سيكون تحولاً تاريخياً في لبنان، شبيهاً بلحظة ما بعد الطائف. لكنه في حال الفشل، قد يؤدي إلى نتائج عكسية متمثلة بتعزيز الاستقطاب الطائفي، وتكريس ازدواجية السلاح، وإضعاف مؤسسات الدولة أكثر. الأسوأ أن فشل المسار قد يدفع أطرافاً دولية وإقليمية إلى التعامل مع لبنان كدولة "غير قابلة للإصلاح" أمنياً، ما يفتح الباب أمام سيناريوهات فيدرالية أو كونفيدرالية غير معلنة، أو حتى إعادة إنتاج منطق "المناطق الأمنية" الذي خبرته البلاد في الثمانينات والتسعينات.

الموقف الرسمي من سلاح حزب الله بدأ يتسم بالوضوح

العرب
أول صحيفة عربية صدرت في لندن
1977 أسسها
أحمد الصالحين الهوني

رئيس التحرير
محمد أحمد الهوني

مدير التحرير
مختار الدبابي

المدير الفني
سعيدة اليعقوبي

www.alarab.co.uk
editor@alarab.co.uk

العرب
الأحد 2025/08/03
السنة 48 العدد 13564

ماذا تعني زيارة مسعد بولس إلى ليبيا المنقسمة

ترامب يراهن على بولس لتثبيت النفوذ الأميركي في أفريقيا

ياسين فواز
مدير أعمال أميركي
وخبير أمني

تعمل حكومات مُنفصلة في ليبيا الممزّقة، ويظل خطر الحرب حاضرا دائما. ونادرا ما يُعتبر وصول مبعوث أجنبي رفيع المستوى إليها مُجرد بادرة دبلوماسية. ولا يُعدّ قدوم مسعد بولس، كبير مستشاري الرئيس الأميركي دونالد ترامب، استثناء.

وكانت هذه الزيارة الدبلوماسية الأولى لمسؤول أميركي رفيع المستوى إلى شمال أفريقيا، وهي منطقة طالما اعتُبرت خاضعة للنفوذ الفرنسي، وكثيرا ما تشعر بإهمال واشنطن لها إلا في حالات الأزمات.

وبدأ بولس زيارته في طرابلس، حيث التقى رئيس الوزراء عبدالحميد الدبيبة، قبل أن يسافر إلى بنغازي لإجراء محادثات مع المشير خليفة حفتر. وقد مثّلت رحلته في يوليو 2025 الدليل الأكثر وضوحا حتى الآن على تجدد تركيز أميركا على ليبيا خلال فترة رئاسة ترامب الثانية.

الزيارة كشفت عن سعي واشنطن لاستعادة نفوذها في بلد منقسم بين حكومتين متنافستين، وميليشيات مسلحة، وتدخل أجنبي مُستمر

لكن وراء الاجتماعات الرسمية والتصريحات العلنية، كشفت الزيارة عن سعي واشنطن المُدروس لاستعادة نفوذها في بلد منقسم بين حكومتين متنافستين، وميليشيات مسلحة، وتدخل أجنبيّ مُستمر.

ويراهن ترامب في التأثير داخل أفريقيا على مسعد بولس، رجل الأعمال اللبناني – الأميركي وأب زوج ابنته تيفاني. ويشغل بولس منصب كبير مستشاري الرئيس الأميركي لشؤون الشرق الأوسط والدول العربية، وهو مستشار أول للشؤون الأفريقية في وزارة الخارجية، وأصبح مبعوث الإدارة الأميركية إلى القارة السمراء.

ولفت نفوذ بولس المتنامي (خاصة عبر المناطق التي تعثرت فيها الدبلوماسية التقليدية) الانتباه في واشنطن وعلى الصعيد الدولي. ويُنسب إليه تسهيل اتفاق واشنطن لعام 2025 بين رواندا وجمهورية الكونغو الديمقراطية الذي وُقّع في البيت الأبيض وعُدّ اتفاق سلام تاريخيا.

وإذا حقق بولس نجاحا ولو محدودا في ليبيا، فهذا يفتح الباب أمام تفاؤل حذر بأن متنافسين مثل حفتر والدبيبة قد يجتمعون في نهاية المطاف (ربما في واشنطن) لمناقشة سبل تحقيق تقدّم على هذا المسار. لكن العقبات، لا تزال كبيرة، حيث تواصل الخلافات العميقة والتدخل الأجنبي إعاقة أيّ تقدم.

رحلة بولس إلى ليبيا كانت غير مسبوقة بالنسبة إلى مسؤول أميركي من هذا المستوى، يواجه عاصمتين، وحكومتين منفصلتين، وعملية سلام معقدة على المحك.

ويتبنى بولس أسلوبا دبلوماسيا غير تقليدي يُعطي الأولوية للنتائج. ففي حين تصطدم الدبلوماسية التقليدية غالبا بعقبات، تهدف مساعيه البراغماتية الموجهة نحو الأعمال التجارية إلى تحقيق نتائج ملموسة على حساب المبادرات الرمزية. ويُدرك بولس، المتأثر بتراثه العربي وعلاقاته الشخصية، الهوية المزدوجة لليبيا العربية والأفريقية، بما يُشكّل رؤيته القارية الأوسع. لقد خوّلت لي علاقتي الوثيقة بابن مسعد بولس، الذي أعتبرُه شخصيًا بمثابة أخ، ملاحظة أصالة العائلة ومحبّتها العميقة لأفريقيا.

حكاية عاصمتين

كان مسار رحلة بولس متوازنا بعناية للدلالة على الحياد. التقى أولا في طرابلس برئيس الوزراء الدبيبة الذي يقود حكومة الوحدة الوطنية، ثم سافر إلى بنغازي للقاء حفتر الذي يسيطر على معظم شرق ليبيا وجنوبها.

واستُقبل بولس في طرابلس بصفته ضيفا دبلوماسيا ومستثمرا محتملا. وقدّم الدبيبة خطة شراكة اقتصادية بقيمة 70 مليار دولار، مؤكدا على مشاريع "جاهزة للتنفيذ" في الطاقة والاتصالات والبنية التحتية، بهدف جذب الاستثمارات الأميركية وتعزيز الدعم السياسي لغرب ليبيا.

ثم غيّر بولس لهجته في بنغازي، حيث أشاد بدور القيادة العسكرية في تعزيز الوحدة الوطنية داخل مقرّ حفتر المحصّن. كما أجرى مناقشات مع الفريق صدام حفتر، ابن حفتر وخليفته الصاعد في القوات المسلحة العربية الليبية.

وأكد بولس في العلن دعم الولايات المتحدة لسيادة ليبيا واستقرارها ووحدتها المؤسسية. أمّا في الخفاء فقد شملت المحادثات أيضا، حسب مصادر مطلعة، مسائل النفط والتعاون الأمني والدعم الأميركي المحتمل لخطة انتخابية متعثرة منذ فترة طويلة بسبب انعدام الثقة المتبادل.

لقد ظلت الولايات المتحدة، خلال فترة ولاية ترامب الأولى (2017 – 2021)، على هامش الصراع الليبي إلى حد كبير، وكانت تدعم مبادرات الأمم المتحدة، وتتيح لجهات فاعلة إقليمية مثل مصر والإمارات العربية المتحدة تولي زمام المبادرة. ثم أصبحت الدبلوماسية الأميركية أكثر وضوحا في عهد جو بايدن، رغم فشلها في كسر الجمود بين الدبيبة والبرلمان الشرقي.

وتشير ولاية ترامب الثانية إلى تغيير في الموقف. وينظر المسؤولون الآن إلى فرصة في إستراتيجية ليبيا: بوابة للطاقة الأفريقية، وثقل موازن للوجود الروسي، ورمز لدبلوماسية ترامب الحازمة. وعلى عكس الإدارات السابقة التي تعاملت بحذر مع حفتر، أظهرت مهمة بولس استعدادا للتفاعل المباشر مع الممسكين بالسلطة.

ويتضمن هذا العمل مع حفتر والدبيبة (ليس بالضرورة تأييدهما)، والاعتراف بدورهما في ليبيا ما بعد القذافي (التي لا تزال منقسمة ولكنها مهمة إستراتيجيا).

سؤال السبعين مليار دولار

حدثت اللحظة الحاسمة في الرحلة في طرابلس، حيث كشف الدبيبة عن خطة استثمارية بقيمة 70 مليار دولار تتضمن العشرات من مشاريع البنية التحتية والطاقة الهادفة إلى إنعاش الاقتصاد الليبي الراكد.

ويجادل المنتقدون بأن الرقم قد يكون مبالغا فيه، وأنه لا يتجاوز مجرّد مناورة سياسية للحفاظ على اهتمام الولايات المتحدة وموازنة نفوذ حفتر المتزايد. لكن الخطة حددت قطاعات محددة: أنظمة الغاز، وتحسينات الاتصالات، وتطوير المستشفيات، والنقل فائق السرعة. وكانت الشركات الأميركية تتجنب هذه المجالات عادة بسبب غياب الاستقرار في ليبيا.

ولم يكن المقترح اقتصاديا فحسب، بل شكّل كذلك رسالة إستراتيجية: تسعى منطقة غرب ليبيا إلى ضمان مشاركة أميركية أكبر لموازنة الدعم التركي والإيطالي والقطري، الذي تعارض أحيانا مع الأولويات الأميركية. ويأمل حلفاء الدبيبة أن تُعزز المصالح الاقتصادية ارتباط واشنطن بحكومة الوحدة الوطنية الهشة، وأن تُعزز موقف رئيس الوزراء على الصعيد السياسي.

وعلى الرغم من العرض الكبير الذي تناقلته أهم الصحف، كانت نتيجة الزيارة الأبرز اتفاقية بنية تحتية بقيمة 235 مليون دولار بين شركة مليتة للنفط والغاز الليبية وشركة هيل إنترناشونال الأميركية المتخصصة في إدارة المشاريع والإنشاءات.

لقد أكد بولس هذه الاتفاقية في طرابلس. وهي تتضمن تعزيز البنية التحتية للغاز، بما في ذلك خطوط الأنابيب ومحطات الضغط. ويُعدّ هذا الأمر حيويا للحفاظ على دور ليبيا بصفتها مصدّرا رئيسيا للغاز الطبيعي إلى أوروبا.

ويمثل وجود هيل عودة نادرة لشركة من الولايات المتحدة إلى بلد غادرته معظم الشركات الأميركية بعد 2014. وأشار بولس، من خلال دعمه للاتفاقية، إلى أن إدارة ترامب تنوي مناقشة الاستثمار ودعمه بنشاط. ويرى الدبيبة أن العقد يؤكد أن غرب ليبيا مفتوح للأعمال التجارية. ويوفر بالنسبة إلى واشنطن ركيزة إستراتيجية في قطاع التصدير الرئيسي في ليبيا، حيث يدمج الفرص الاقتصادية مع الإستراتيجية الجيوسياسية. وتحولت النبرة في بنغازي من التجارة إلى ديناميكيات القوة. ولا يزال المشير حفتر شخصية مهيمنة عسكريا، وبصفته صاحب السلطة على أصول النفط الرئيسية والموانئ وطرق التهريب في البلاد.

الدبيبة قدم خطة شراكة اقتصادية بقيمة 70 مليار دولار، مؤكدا على مشاريع «جاهزة للتنفيذ» في الطاقة والاتصالات والبنية التحتية

ولا يزال حفتر يحتفظ بمكانته كصانع قرار مركزي. ويبدو أن المسؤولين الأميركيين، بمن فيهم بولس، يُقرّون بذلك. وشدّد بولس خلال المحادثات على الحاجة إلى التكامل المؤسسي، في نداء غير مباشر لتوحيد النظامين العسكري والمالي الليبيين المنقسمين تحت مظلة هيكل وطني.

يُقال إن حفتر يدعم التوحيد، شريطة أن يقود هو الدولة التي ستتولد عنه. وباءت محاولاته السابقة للسيطرة على طرابلس بالفشل، وواجهت جهوده السابقة لدمج المؤسسات مقاومة. ويعكس توسع سيطرة صدام حفتر على تمويل الأمن وإعادة الإعمار نموذج حكم عائلي. ومع ذلك، فإن استعداد حفتر للتفاعل مع واشنطن يُشير إلى سعيه للحصول على اعتراف دولي، وربما لدور مستقبلي له ولأبنائه في المشهد السياسي الليبي بعد انتهاء الحرب.

مأزق أم خطوة إلى الأمام

ماذا حققت زيارة بولس في النهاية؟ لم تُوقع أيّ معاهدات جديدة بخلاف اتفاقية هيل، ولم يُعلن عن أيّ انتخابات، ولم تُسحب أيّ قوات أجنبية. ومع ذلك، كانت رمزية الزيارة قوية.

وأعادت الزيارة تأكيد دور أميركا في صراع طالما هيمنت عليه قوى خارجية وسياسات أوروبية متضاربة. وقد أظهرت توازنا من خلال معاملة كلا الفصيلين الليبيين كطرفين شرعيين، على الرغم من ادعاءاتهما المتنافسة. كما فتحت الباب أمام أشكال جديدة من الدبلوماسية الاقتصادية، حيث اقترح بولس زيارات مستقبلية من مستثمرين ومسؤولين أمنيين أميركيين خلال الأشهر المقبلة.

والأهم من ذلك أنها أشارت إلى أن ولاية ترامب الثانية قد تُعطي الأولوية للمشاركة العملية القائمة على النتائج، ودعم أيّ طرف ليبي قادر على توفير الاستقرار، والوصول إلى الطاقة، والتعاون في مكافحة الإرهاب.

ويتطلب فهم تشرذم ليبيا إعادة النظر في قبضة معمر القذافي على البلاد التي استمرت أربعة عقود.

لقد حكم القذافي بنظام استبدادي فريد، حيث قمع المعارضة، وسيطر بإحكام على الجيش، واحتكر عائدات النفط. ومكّن هذا من إرساء نظام محسوبية يوازن بين التعقيدات القبلية والإقليمية في ليبيا.

وبينما ادّعى القذافي دعمه للديمقراطية المباشرة عبر "اللجان الشعبية"، كانت السلطة الحقيقية مركزية تحت سيطرته. وأعطى النظام وهما بالمشاركة، لكنه في الواقع كان استبداديا وهرميا. فمن خلال التوزيع الإستراتيجي للموارد، نجح القذافي في الحفاظ على وحدة هشة داخل المشهد الاجتماعي والقبلي المعقد في ليبيا.

لكن هذا الهيكل كان يعتمد عليه بشكل مفرط، ويفتقر إلى مؤسسات متينة. وعندما أُطيح به عام 2011، انهار هذا التوازن الهش، ما أطلق العنان لمنافسة شرسة بين القبائل والميليشيات والفصائل المناطقية للسيطرة على موارد ليبيا ومستقبلها السياسي.

ويكمن التحدي الآن في استبدال حكم القذافي الاستبدادي بحكم شامل يُقرّ بهوية ليبيا العربية الأفريقية، ويراعي المصالح الإقليمية، ويعيد بناء المؤسسات الوطنية القادرة على توفير الأمن والازدهار. وهذا ما يتطلب إستراتيجية دبلوماسية تراعي الديناميكيات المحلية. وهذه إستراتيجية يبدو أن بولس يسعى إليها من خلال إشراك القادة الشرقيين والغربيين على حد سواء.

ومن المرجح أن يتطلب تحقيق الوحدة تقديم تنازلات تحافظ على التنوع الليبي مع صياغة مسار وطني مشترك، وهي مهمة أكثر تعقيدا بكثير من نموذج القذافي المركزي.

ومع ذلك، لا تزال المخاطر كبيرة، إذ قد يُرسّخ إشراك كلا الجانبين الانقسام بدلا من وضع حدّ له. كما قد يُضفي شرعية على الشخصيات الاستبدادية، ويُهمّش الإصلاحيين والمجتمع المدني، ويُؤخّر العملية الانتخابية.

في غضون ذلك، تواصل القوى الإقليمية (تركيا ومصر وروسيا..) ممارسة نفوذ كبير على اقتصاد ليبيا وأمنها. ويُخاطر التدخل الأميركي بإشعال المنافسة الجيوسياسية ما لم يُنفّذ بتنسيق دقيق.

حرب بوسائل أخرى

رغم توقف الحرب الأهلية، لا يزال الصراع الليبي قائما بأشكال أخرى، من خلال صراعات على السلطة المؤسسية، ونزاعات على أرباح الطاقة، ومعارك من أجل الشرعية الدولية. وتُظهر زيارة بولس أن الصراع قد تحوّل من الاشتباكات المسلحة إلى دبلوماسية خلف الكواليس والمساومات الاقتصادية.

ولا يزال من غير المؤكد ما إذا كانت إعادة انخراط الولايات المتحدة ستؤدي إلى الوحدة الوطنية أم ستعزز نفوذها فحسب. لكن ليبيا، التي اعتُبرت في مرحلة "صراع مجمّد"، عادت إلى نشاطها. وأصبحت أميركا الآن تُراقب ما يجري باهتمام كبير.

قد تكون زيارة بولس أعادت فتح آفاق دبلوماسية، لكنها تركت السؤال الجوهري دون إجابة: كيف يمكن لدولة بها حكومتان متنافستان، وميليشيات متعددة، وغياب خارطة طريق مشتركة أن تتحد؟

في الوقت الحالي، يبدو أن الانقسام سيستمر، مع تعاون تكتيكي في مجالات مثل النفط، وأمن الحدود، والبنية التحتية. وتبدو طرابلس وبنغازي متقبلتين للجهود الأميركية، لكنّ الحكومتين تظلان غير مستعدتين للتخلي عن السلطة. ودون جدول زمني محدد للانتخابات أو هيكل أمني موحّد، تبقى المصالحة الوطنية مجرد طموحات أكثر منها خطة.

المحادثات شملت، حسب مصادر مطلعة، مسائل النفط والتعاون الأمني والدعم الأميركي المحتمل لخطة انتخابية متعثرة

ومع ذلك، قد يتغيّر النهج بفضل تركيز بولس العملي (استبدال المحاضرات الأيديولوجية بالحوافز الاقتصادية). وإذا ترسخت الاستثمارات وحافظت واشنطن على تواصلها مع كلا الجانبين، فقد يُشجّع ذلك على تعايش أكثر استقرارا وتفاعلا. ولن يُشبه هذا عملية سلام تقليدية، ولكنه قد يُعزز الهدوء وإعادة بناء المؤسسات تدريجيا.

التحديات لا تزال قائمة. وقد تُرسّخ محاولة الشراكة مع الجميع الانقسامات وتُهمّش الحركات الديمقراطية أكثر. ودون تعاون أعمق مع الأمم المتحدة والجهات الفاعلة الإقليمية، يُخاطر التدخل الأميركي بأن يصبح مجرد تأثير مُنافس آخر.

لا يبشر مستقبل ليبيا بإنجاز سريع أو دراماتيكي، بل يشير إلى عملية تفاوض طويلة وغير متكافئة. وإذا كان بولس وإدارة ترامب ملتزمين حقا بإعادة الانخراط، فعليهما تقبّل المهمة الشاقة، التي لا تحظى غالبا بالتقدير، والتي تتمثل في إعادة بناء دولة منقسمة. وسيتطلب ذلك خطوات تدريجية، مثل التوسط في صفقات الطاقة، وتأمين الاتفاقيات العسكرية، ومعالجة النزاعات القبلية واحدة تلو الأخرى. ويتطلب هذا الجهد قدرا كبيرا من الصبر والمرونة، وهو ما افتقدته الدبلوماسية الأميركية غالبا.

لم يعتبر بولس زيارة ليبيا جهدا لتحقيق اختراق كبير، بل وسيلة للإشارة إلى أن الولايات المتحدة لا تزال منخرطة بنشاط في المنطقة. ولا يزال من غير الواضح ما إذا كانت هذه المشاركة ستؤدي إلى سلام دائم أم ستُطيل أمد عدم الاستقرار المستمر في ليبيا. ومع ذلك، يُعدّ هذا الانخراط المبهم في بلد طالما نسيته واشنطن خطوة إلى الأمام في الوقت الحالي.

العرب
الأحد 2025/08/03
السنة 48 العدد 13564

حلم المرادية ينحرف إلى ما وراء القضبان

سعيدة نغزة

شخصية استثنائية تقتحم مجالا حكرا على الرجال

● مساعي نغزة لتأهيل نفسها داخليا وخارجيا

صابر بليدي
صحافي جزائري

لم يدر في خلد أيّ واحد من الثلاثي السياسي الذي رغب في الترشح للانتخابات الرئاسية الأخيرة في الجزائر أن تنتهي به التجربة إلى ما وراء القضبان، حتى ولو كان الدور مجرد "أرنب سباق"، فسيدة الأعمال سعيدة نغزة تستند إلى شبكة من رجال المال والأعمال، وعلى جناح نافذ في السلطة رغم تواجده في حالة تقاعد، والسياسي والوزير السابق بلقاسم ساحلي اعتقد أن تجربته في موالاة السلطة تؤهله لأن يكون أرنب سباق انتخابيا، تحسبا لموقع آخر، أما عبدالحكيم حمادي، فهو رجل أعمال بسيط ومغمور، أراد أن يجرب حظه في سوق السياسة، قبل أن تطيح تهمة "الفساد الانتخابي" بالجميع وتحيلهم إلى السجن.

سعيدة نغزة عملت على تنظيم أصحاب العمل، وانضمت إلى الاتحاد العام لرؤساء المؤسسات عام 1997، وتدرجت في المناصب بسرعة

ما زال محيط المرشحة للانتخابات الرئاسية الجزائرية التي جرت في السابع من شهر سبتمبر الماضي، سيدة الأعمال سعيدة نغزة، خاصة ابنها أمقران عزوزة، يثير الضجيج في وسائل التواصل الاجتماعي، عبر سلسلة من التسجيلات، التي ضمنها ما وصفه بـ"تصفية الحسابات بين السلطة وبين والدته،" ووجه أصابع اتهامه لـ"الرجل الأول في الدولة عبدالمجيد تبون، ومحيطه في قصر المرادية،" ليعطي الانطباع بأن "الحكم بسجن والدته والظروف التي جرت فيها المحاكمة هو انتقام منها".

وما عدا ذلك فقد خيّم الصمت، في محيط المرشحين الآخرين، بلقاسم ساحلي وعبدالحكيم حمادي، اللذين استسلما لقدرهما، في استنفاد عقوبة أربع سنوات سجنا نافذة، مع غرامة مالية، وسينصرفان للخلوة مع نفسيهما عن تجربة قاسية، لا أحد يدري كيف تكون نهايتها، وهل يطلّقان الشأن السياسي، أم يخرجان منها بنفس جديد وعقيدة شغوفة بمواصلة المغامرة.

ولأن الأضواء سلطت على الثلاثي المذكور فقط، فإن الأحكام طالت ابنين لسعيدة نغزة، ونحو 80 ضالعا في ملف ما يطلق عليه "الفساد الانتخابي،" منهم منتخبون بسطاء في مجالس محلية، وحتى لو كانت العقوبات مخففة، فهم لا يملكون قوت يومهم وخلفهم عائلات تنتظرهم، بحسب ما تحدثت عنه سعيدة نغزة، في أكثر من تصريح وتسجيل صوتي.

في مجتمع تخيم عليه النزعة الذكورية، بداية من الأسرة إلى غاية منصب الرجل الأول في الدولة، فإن تجربة سعيدة نغزة، تبقى استثنائية ومثيرة للمتابعة، قياسا بخوضها في بعدين معقدين يبقى حصرا ومن اختصاص العنصر الذكري في الجزائر، وهما الخوض في لعبتي المال والسياسة في آن واحد، لاسيما وأن طرفي المعادلة على تكاملهما، فإن علاقتهما تبقى مسرح ألغام لا يسلم منه إلا الأذكياء أو المحظوظون.

ولذلك تبقى التجربة نادرة في الجزائر، لأنها تتطلب خصوصيات شخصية معينة، تكون قد توفرت لدى سعيدة نغزة، التي ناصبت العداء للذراع المالية والسياسية بقيادة رجل الأعمال المسجون علي حداد، خلال حقبة الرئيس الراحل عبدالعزيز بوتفليقة، ووقفت إلى جانب الرئيس الحالي عبدالمجيد تبون، في أحلك مراحل ضعفه، لما أطاح به اللوبي المذكور من رئاسة الحكومة بعد 80 عاما من تنصيبه في 2017، وانقلبت عليه وعلى محيطه منذ العام 2023، لتكشف عن رغبتها في رئاسة البلاد.

سيدة الأعمال التي جمعت خلفها فصيلا مهنيا من رجال المال والأعمال في تنظيم مهني، ثبّتت وجودها في أكثر من محفل إقليمي وقاري ودولي لعالم "البيزنس"، خاضت معارك مع خصومها خلال حقبة الرئيس بوتفليقة، ودعّمت الرئيس تبون، خلال ضعفه وخلال قوته كرجل أول في الدولة، وانتفضت على محيطه بلسان سليط يعجز الرجال عن قول ما قالته لهم، وقطعت حبل الود برسالتها المشهورة إلى رئيس الجمهورية عبر وسائل التواصل الاجتماعي في 2023، تنتقد فيها خياراته الاقتصادية وأداء حكومته، وانتهى بها المطاف خلف القضبان، وهي تعاني من سرطان، ومن أمراض قلبية.

تنحدر سعيدة نغزة من بلدة البيبان في منطقة القبائل، لكنها نشأت بمدينة قسنطينة بشرق البلاد، ونشأت في عائلة متواضعة، وفي سنّ مبكرة، عملت في مطعم والدها، مدفوعةً برغبة في الاستقلالية تتناقض مع مساراتٍ شقيقاتها الأكثر تقليدية، وأبانت منذ طفولتها عن رغبة في الاعتماد على النفس، وعلى عزم وإرادة كبيرين.

أضواء الأعمال

قبل أن تبلغ سن العشرين، تزوجت من حرفي ماهر يملك بستان زيتون. كانت هذه مرحلة جديدة في حياتها، لكنها لم تكن سوى سعادة عابرة، ففي الرابعة والعشرين من عمرها، أصبحت أرملة، تعيل طفلا، ومعصرة زيتون على وشك الإفلاس، وفي مواجهة هذا الوضع، قررت بيع شركة عائلتها وانتقلت إلى الجزائر، حيث بدأت مغامرتها الريادية.

دون خلفية أكاديمية تقليدية، ولكنها مُسلحة بالعزيمة، تعلمت سعيدة نغزة أصول العمل من خلال بدء تجربة نجوميتها العام 1992، بمشروع لتحميص قهوة ماركة "موني"، وهو ما كان تحديا لها في وقت كانت فيه البلاد تغرق في عنف الحرب الأهلية، لكن ذلك لم يُثبّط عزيمتها، ورغم البيئة الاقتصادية والأمنية الصعبة، واصلت نضالها، ونوعت أنشطتها، كاستيراد المشروبات الإسبانية، قبل أن تؤسس شركة "إريب"، وهي أول شركة إنشاءات لها العام 2000، في ظل مشاريع الرئيس بوتفليقة العقارية الكبرى.

وكان انطلاقها مع تأسيس مجموعة "سورالكوف"، الناشطة في قطاعات إستراتيجية عديدة: مثل البناء، والهيدروليكا، والاستيراد والتصدير، ومكّنها هذا الصعود من الحصول على عقد كبير العام 2007، تمثل في تشييد 700 وحدة سكنية لجهاز الدرك الوطني. لكن المشروع تحول إلى كابوس، بسبب انسحاب شريكها الإسباني، "أربروينسا" المفاجئ، وهو وضع لم تكن تتوقعه، وسبب لها قلقا بالغا. وفي مواجهة نفقات باهظة وحدها، انهارت ودخلت في غيبوبة دامت 24 يوما، ومع ذلك تمكّنت من تجاوز هذه المحنة.

وإلى جانب أنشطتها، عملت سعيدة نغزة على تنظيم أصحاب العمل، حيث انضمت إلى الاتحاد العام لرؤساء المؤسسات عام 1997. وتدرجت في المناصب بسرعة، من رئيسة مكتب الجزائر العاصمة، إلى نائبة رئيس المنظمة العام 2004، ثم رئيسة للتنظيم عام 2006.

وتعرف بأسلوبها المباشر، والهجومي، وغالبا ما يُنظر إليه على أنه استبدادي، وفي تلك الأثناء بدأت فيه "الأوليغارشيا" الملتفة حول الرئيس عبدالعزيز بوتفليقة بتمديد مخالبها في جميع مجالات النشاط الاقتصادي، فتمرّدت سعيد نغزة، وعارضت بشكل مباشر التنظيم المهني المنافس لها، منتدى رؤساء المؤسسات الذي كان يرأسه علي حداد.

صورة مشوشة

في نظر البعض أصبح الاتحاد العام لرؤساء المؤسسات تحت قيادتها منصة للدفاع عن مناخ أعمال موات للشركات الجزائرية، ولكن أيضا لريادة الأعمال النسائية، ودفعتها نجاحاتها والتزامها وصمودها في النهاية إلى قائمة أفضل 50 امرأة مؤثرة في أفريقيا العام 2023، وفقًا لتصنيف فوربس أفريقيا، كما توجتها قناة "تي في 5" الفرنسية بلقب "السياسية الأكثر تأثيرا في أفريقيا،" مشيدةً بالتزامها بتمكين المرأة والشباب.

ومع ذلك، لم تكن سعيد نغزة، محل إجماع، سواء داخل عالم الأعمال أو المنظومة السياسية، فهي امرأة قوية في نظر البعض، وقائدة استبدادية في نظر آخرين، وأسلوب إدارتها المركزي، ومواقفها القوية، وطموحاتها السياسية الجريئة، كل ذلك جعلها شخصية مثيرة للجدل بين قادة الأعمال الجزائريين، ففي مؤتمر التنظيم المهني الذي تتزعمه، أشاد البعض بشجاعتها وقدرتها على الدفاع عن مصالح الشركات، بينما استنكر آخرون أداءها، بسبب الإفراط في إضفاء الطابع الشخصي على هيئة جماعية.

وفي مارس 2019، ووسط ضجة الحراك الشعبي، فاجأت الكثيرين بحدة تصريحاتها، على قناة خاصة، صرحت قائلةً "أكره قايد صالح، كما أكره توفيق، وبوتفليقة، وإخوته، وأويحيى، وكل الأوغاد الذين يحيطون به." وهو كلامٌ لاذع كسر الصورة التي كانت تحاول ترسيخها حتى ذلك الحين، خاصة وأنها المرأة التي لم تتردد في القول قبل ذلك "إذا اتصل بي الجنرال توفيق (مدير جهاز الاستخبارات قبل 2015)، سأزحف إلى منزله".

وعرفت السيدة السجينة، بدعمها الحماسي لاحتجاجات الحراك الشعبي، لكنها دعمت ترشيح عبدالمجيد تبون في انتخابات 2019، وتحولت إلى، داعية إلى الاستقرار والسلم الاجتماعي، وهو ما فسره البعض على أنه "انتهازية"، بينما فسّره آخرون على أنه "إستراتيجية"، لاسيما في الفترة التي سبقت الانتخابات الرئاسية عام 2024.

الصورة المشوشة عن سيدة الأعمال، تجسّدت أكثر في تسجيل هاتفي مسرب في يوليو 2023. أسمعت مدير وكالة الأنباء الجزائرية سمير قايد كلاما نابيا وقبيحا، وتهديدات لفظية، على خلفية نشر الوكالة لمقال تضمن ردا ناقدا ومتهما لها، بعد رسالتها إلى الرئيس تبون، عبر شبكات التواصل الاجتماعي.

منسوب زائد من الجرأة

فجّر ابنها أمقران عزوزة، المتواجد في حالة فرار من العدالة بإحدى الدول الأفريقية، جدلا صاخبا، فور صدور الحكم عن والدته، ووصفه بـ"الظالم"، وبـ "تصفية حسابات بين مقربين من الرئيس تبون، وبين سعيدة نغزة".

وذكر في تسجيل صوتي، اعتبره حلقة أولى من مسلسل طويل، سيتم خلاله "فضح ممارسات السلطة، والفساد المستشري في مفاصل الدولة،" موجها الاتهام إلى شخصيات في محيط الرئيس عبدالمجيد تبون، وذكر منهم مدير الإعلام في رئاسة الجمهورية كمال سيدي سعيد، ومدير التشريفات عميروش حماداش، ومدير ديوان الرئاسة بوعلام بوعلام، فضلا عن الرئيسة الحالية للهلال الأحمر الجزائري ورئيسة المرصد الوطني للشباب ابتسام حملاوي.

● ثلاثي مرشح للرئاسة يجد نفسه في السجن

بلقاسم ساحلي وعبدالحكيم حمادي استسلما لقدرهما في استنفاد عقوبة أربع سنوات سجنا نافذة وينصرفان لمعايشة تجربة قاسية

ولم يصدر أيّ تعليق أو تصريح من طرف الشخصيات المذكورة، بينما أبان المتحدث عن دراية واسعة بملفات وشؤون سرية داخل سرايا السلطة، ما يفتح المجال أمام سجال مفاجئ ومستجد بين أجنحة السلطة، خاصة وأن سيدة الأعمال عرفت بقربها واستقوائها في وقت سابق بجناح الجهاز القديم للاستخبارات.

واستغرب المتحدث، عدم طلب الإسعاف أو التدخل الطبي الفوري، لمساعدة والدته التي أصيبت بوعكة صحية داخل المحكمة، إلا بعد مرور ساعة ونصف الساعة، خاصة وأنها تعاني من عدة أمراض مزمنة وسبق لها أن أجرت عمليات جراحية.

ويجهل وضع سيدة الأعمال المحكوم عليها بأربع سنوات سجنا نافذة، وغرامة مالية تقدر بنحو 8000 دولار أميركي، حيث تضاربت الروايات بين الأزمة القلبية وبين الجلطة الدماغية، لكنها أجمعت على نقلها بعد ذلك إلى مستشفى مصطفى باشا بالعاصمة، لتلقي العلاج في قسم الموقوفين، وأنها كانت غائبة عن الوعي، لتنقل بعدها إلى سجن القليعة بالعاصمة، أين تستعمل كرسيا متحركا حسب رواية ابنها.

وسبق للسيدة التي توصف بـ"سليطة اللسان"، أن وجهت اتهامات إلى مسؤولين في رئاسة الجمهورية ومديرية الأمن الداخلي، بالتآمر على شخصها والانتقام منها بسبب مواقفها وتصريحاتها الناقدة للفساد، وللخيارات الاقتصادية والتجارية المنتهجة من طرف الحكومة.

ونفت أن يكون الملف القضائي الذي توبعت به متضمنا لدلائل تدينها أو تجرمها، وظلت متمسكة بكونه "فارغا"، وأن الاعترافات التي أدلى بها شهود انتزعت منهم تحت "الإكراه"، ولذلك دعت الرئيس تبون إلى التدخل في الملف، لتبرئة العشرات من المتهمين الذين تنتظرهم عائلاتهم، وليس في استطاعتهم حتى تحمل تكاليف الدفاع.

● نغزة اعتمدت على ورقة العمال والنقابات للظهور في الواجهة

العرب
الأحد 2025/08/03
السنة 48 العدد 13564

تاريخ زعامة فنية بين الكوميديا والدراما

عادل إمام

صوت الشعب البسيط ووجدان السينما العربية

عبدالرحيم الشافعي
ناقد سينمائي مغربي

بدأ عادل إمام مسيرته الفنية في الستينات، ليصبح واحدا من أعظم نجوم السينما والمسرح في العالم العربي، وتألق في أدوار مختلفة تنقلت بين الكوميديا والدراما، حينما استخدم موهبته الفطرية في التعبير عن هموم المجتمع بأسلوب بسيط وذكي، جعله قريبا من قلوب الجمهور على مدى عقود، وواجه العديد من التحديات السياسية والاجتماعية لكنه ظل صامدا ومحافظا على مسيرته الفنية ومواقفه التي تعبر عن وعيه وثقافته الواسعة.

كسر النمطية

حصد عادل إمام نجاحات كبيرة في المسرح والسينما والتلفزيون، مقدما أعمالا تركت أثرا قويا في الثقافة العربية، عندما أبدع في مسرحيات مثل "الزعيم" و"مدرسة المشاغبين"، وفي أفلام تناولت قضايا اجتماعية وسياسية بطريقة ساخرة وهادفة، ليصبح رمزا للفن الراقي الذي يجمع بين الترفيه والرسائل الهادفة، واستمر في تقديم أعماله رغم مرور الزمن، محافظا على مكانته كأيقونة فنية لا تتكرر في العالم العربي.

> فنان استخدم موهبته الفطرية في التعبير عن هموم المجتمع بأسلوب بسيط وذكي، جعله قريبا من قلوب الجمهور

وكسر يوسف شاهين قالب شخصية "الشرير" الذي التصق بالممثل القدير محمود المليجي، وأخرجه من هذا النمط في فيلم "الأرض"، الذي يعد من أعظم ملاحم السينما المصرية، إذ بشر المليجي بعد هذا الدور بمستقبل فني واعد، معتقدا أن الأدوار الجديدة ستتوالى عليه، لكن المنتجين تجاهلوا هذه النقلة النوعية، فلم تفتح له الآفاق المتوقعة. صنف هذا الدور اليوم كعلامة فارقة في تاريخه الفني، وكان من الممكن أن يغير مسار مسيرته بالكامل.

لم يقع إمام في ذلك المأزق، وقد نبّه الكاتب محمود السعدني إلى طاقة كبيرة في الممثل الشاب عادل إمام، معربا عن خشيته من أن يبقى محصورا في أدوار "السنيد" التي كان يؤديها في الستينات. وبشر السعدني بأن عادل إمام سيكون شخصية محورية في السينما المصرية، وهو ما تحقق فعلا.

فنان غير مسيرته أكثر من مرة

مرحلة النضج

دخل إمام السبعينات بوجه مختلف، متحررا من تنميط الأدوار الثانوية، وبدأ يشارك في أفلام ذات طابع جماعي وانتشار واسع، وتميزت هذه المرحلة بالأفلام التجارية التي تحتوي مشاهد جريئة تلبي الذوق العام، لكنه ظل النجم الكوميدي الأول الذي يضحك الناس بذكاء ويجذبهم بخفة ظله، مقدما أفلاما بسيطة ومرحة.

قدّم عام 1975 علامة فارقة في مسيرته بفيلم "اللعبة الخفية" مع فريد شوقي، وبدأ اسمه يلمع كاسم بيّاع، حينما انتقل من أدوار المساندة إلى دائرة النجوم الكبار، وتنوعت تجاربه بين المسرح والتلفزيون، وحقق نجاحات لافتة في مسرحية "شاهد ما شافش حاجة" ومسلسل "أحلام الفتى الطائر"، وتألق إلى جانب فريد شوقي في فيلم "رجل فقد عقله"، وتابع تقديم أفلام ومسلسلات ناجحة، حتى وصل عام 1981 إلى نقطة تحول محورية مع فيلم "المشبوه"، الذي شكّل تحوّلا كبيرا في مسيرته، عندما أظهر قدرته على أداء أدوار معقدة ومزج الكوميديا بالدراما والمأساة بالأكشن، فغادر صورة "المضحك فقط" ليصبح فنانا شاملا ومتكاملا.

ويجسّد عادل إمام مشهدا إنسانيا مؤلما في فيلم "المشبوه"، في شخصية "ماهر" عندما تتلقى الشخصية صدمة مزدوجة حين يعود من السجن ليجد سيارته التي كانت مصدر رزقه قد تحولت إلى كومة من الحطام، وزوجته خانت ثقته باتصالها بشخص آخر. فينهار "ماهر" داخليا في صمت تام، ويتحول إلى رجل محطم يشبه تحطّم سيارته وصورة زوجته في ذهنه، عاجزا عن رد الفعل أو حتى عن تناول الطعام، ويؤدي عادل إمام هذا المشهد دون كلمة واحدة، لكنه يعبر عن كل المشاعر عبر نظراته وإيماءاته، ممسكا بسيجارة كناية عن حالة الانكسار التي يعيشها.

ينحت هذا المشهد في وعي الجمهور صورة جديدة لعادل إمام، فنان ناضج قادر على أداء أدوار درامية معقدة بعيدا عن صورة الممثل الكوميدي فقط. بلغ الفنان المصري في هذا الفيلم النضج السينمائي، فأظهر تحوّلا فنيا قويا، تجلى ذلك في مشاهد أخرى، مثل مواجهته للضابط في قسم الشرطة التي تطلبت تقنيات تصوير دقيقة جدا رغم وجود عائق صوتي من جهاز حركة الكاميرا، إذ يطرح الفريق الفني حلولا بديلة، لكن إمام يتدخل ويصر على استكمال التصوير دون أي تراجع، محافظا على الإحساس الأصلي للمشهد، ليُثبت عزمه على أن اللحظة الإنسانية هي الأهم، وأن التقنية لا يجب أن تطغى على صدق الأداء وإخلاص المشهد للجمهور.

وانتقل عادل إمام من كونه ممثلا نمطيا إلى فنان واع ليثبت أنه مشروع حقيقي يستحق التقدير، وتصرف كمُنتج ذكي يُدرك أهمية كل تفصيلة في العمل الفني، وبدأ يركّز على الجودة بدل الكم، مدركا أن التمثيل صنعة تحتاج إلى شغف وصبر، فمثلا في فيلم "الهلفوت" حرص على تجسيد مظهر الشخصية بشكل واقعي عبر دفع مبلغ كبير لرجل يشبه شخصية الفيلم، وهو ما ساهم في بناء الكراكتر بدقة.

فنان قريب من جمهوره مهما تغيرت الأجيال

إمام غادر صورة المضحك

غيّر عادل إمام بعد فيلم "المشبوه" بوصلة اختياراته، فقلّل من عدد الأعمال التي يشارك فيها، وركّز على النوعية التي تعبر عن واقع الطبقة المتوسطة والبسطاء الذين يمثلون الأغلبية، وجسّد أحلامهم ومعاناتهم في أفلام مثل "الحريف" و"الغول" و"المولد" و"حنفي الأبهة"، وتحدى الفساد والظلم والواقع الصعب، وأصبح صوت الناس البسطاء في السينما، وحقق له هذا التوجه شعبية واسعة في التسعينات، وواصل تقديم أدوار تمثّل هموم المواطن، مثل شخصية أحمد في "الإرهاب والكباب" والضابط مجدي نور في "النوم في العسل"، وأدرك إمام أن الزعامة الحقيقية في الفهم للصنعة، محافظا على مكانته كزعيم فني يمثل الناس ويعمل بعقله وقلبه معا.

تجسدت الدولة والفساد والبيروقراطية والروتين في خماسية أفلام عادل إمام التي بدأت بـ"اللعب مع الكبار" وانتهت بـ"النوم في العسل"، إذ قدم في هذه الأعمال توازنا دقيقا بين جودة الفن من سيناريو وإخراج، وبين النجاح الجماهيري في شباك التذاكر، وهو ما لم يستطع غيره تحقيقه بنفس القوة والانتشار، بينما أدرك في تلك المرحلة أنه لم يعد مجرد فنان أو مثقف مؤثر، بل أصبح "الزعيم" بحق في المواقف الإنسانية والوطنية أيضا، مثل عرضه لمسرحية "الواد سيد الشغال" مجانا في قصر ثقافة أسيوط بعد حادث إرهابي عام 1988، دعما للحياة الثقافية.

تجديد مستمر

واجه عادل إمام بعض الإخفاقات في نهاية التسعينات مع تكرار بعض الأدوار التي أرهقت الجمهور، خاصة مع بروز نجوم شباب مثل محمد هنيدي، فاستوعب بسرعة هذه التحولات وقرر أن يتأقلم ويعيد تقديم نفسه بشكل جديد، فشارك جيل الشباب في أفلام مثل "أمير الظلام" و"التجربة الدنماركية" و"عريس من جهة أمنية"، ليرسخ حضوره بينهم رغم عدم تحقيق بعض هذه الأفلام لأعلى الإيرادات.

اختار إمام أن يتماشى مع روح العصر، وواصل مشاركته في أعمال شبابية مثل "السفارة في العمارة" و"مرجان أحمد مرجان"، حتى فيلم "زهايمر" الذي حمل مشهدا رمزيا يؤكد فيه أنه لم ينتهِ بعد.

وأثبت عادل إمام أن الشغف لديه نمط حياة لا تحكمه السنوات، وظل يقدم نفسه بروح متجددة قريبة من جمهوره مهما تغيرت الأجيال.

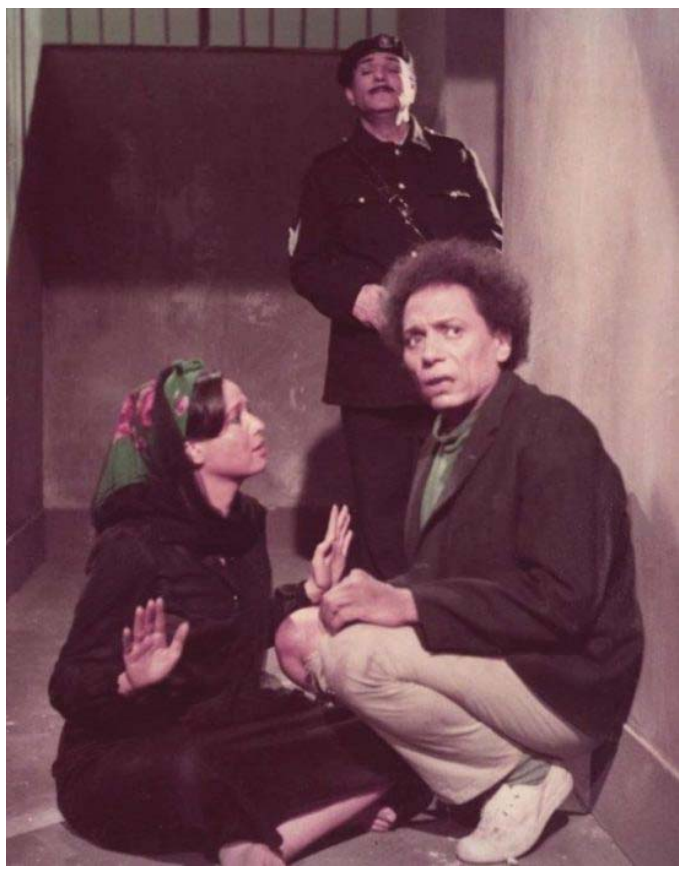

صوت الناس البسطاء في السينما

وواصل "الزعيم" أداء أدوار الكبار التي تبرز الفساد المتغلغل في أركان الدولة، محافظا على حس ساخر وتواصل مباشر مع الجمهور، وظل قريبا من الإنسان البسيط، موظف الطبقة المتوسطة الذي بالكاد يحصل على قوت يومه، معبرا عن همومه وأحلامه بطريقة تجعله ممثلا ينتمي إلى الشارع، لا إلى الطبقة العليا فقط، فقدّم أفلاما شبابية بنظرة زعيم من خلال أعمال مثل "عمارة يعقوبيان"، عندما جسّد مروان حامد، المخرج الصاعد، قصة تنسجم مع روح العصر، معتمدا على ذكاء الاختيار وقراءة التوقيت ليختار أعماله بعناية، ويرفض مشاريع رغم قيمتها الفنية إذا لم تحقق رؤيته أو النجاح المطلوب.

وانتقل عادل إمام إلى تقديم أدوار معقدة تمزج بين البكاء والضحك في أفلام مثل "زهايمر"، محافظا على شغفه وعزْمه على تطوير موهبته دون أن يشبع من الفن أو الزعامة، وتنقل بشكل ناجح إلى التلفزيون، إذ فرضت مسلسلاته نفسها كجزء من روتين المشاهدة الرمضانية، متنوعا بين الأعمال السياسية والاجتماعية مثل "العراف"، فأثبت أن أدواته درس للجميع في التخطيط والاستمرارية، حين عرف متى يكثر من الأعمال ومتى يتوقف، محافظا على توازنه، ومتفاديا أخطاء بعض النجوم في التمسك بأدوار لم تعد تناسب مرحلتهم، فظل الزعيم حالة فريدة لا يمكن تكرارها، صانعا مسيرةً فنية وإنسانية متكاملة.

> عادل إمام أثبت أن الشغف بالتمثيل لديه هو نمط حياة لا تحكمه السنوات، وظل يقدم نفسه بروح متجددة

العرب
الأحد 2025/08/03
السنة 48 العدد 13564

الرواية العراقية لها الريادة في التحول من الحكاية إلى الفكرة

علي لفتة سعيد: الواقع الجديد منح الأدب العراقي سمة جديدة

تجربة الروائي والناقد العراقي د. علي لفتة سعيد ليست فقط سجلا غنيا بالإصدارات، في مختلف أجناس الكتابة، بل هي خارطة فكرية وسردية تفتح الأدب على أسئلته الجوهرية، وتضع الكاتب في مواجهة دائمة مع اللغة والعالم، ما يجعل منه تجربة متعددة الروافد. "العرب" كان لها هذا الحوار معه لنتعرف من خلاله على مسيرة هذه التجربة.

محمد الحمامصي
كاتب مصري

يبرز اسم د. علي لفتة سعيد في المشهد الثقافي العربي بوصفه كاتبا متعدد الأوجه، مزج بين الرواية والقصة والشعر والنقد والمسرح، وشيد عبر مسيرته الطويلة مشروعا أدبيا قائما على التجريب والرؤية. لا يكتفي بأن يكون ساردا للأحداث، بل هو فاحص لبنية النص ومفكك لعلاقة الأدب بالواقع، متخذا من السؤال مدخله الدائم: لـ"فهم الزمن ودلالته في النص السري"، و"فهم النص من الإنتاج إلى التلقي"، و"فهم اللعبة الإنتاجية للنص الأدبي".. إلخ.

الكاتب ابن بيئته والكتابة الأدبية ليست سياحة فكرية، بل هي استنباط لكل الفعاليات المرتبطة بين الواقع والمخيلة

توزعت مؤلفاته على مدن وجغرافيات متعددة، وكأنها تعكس انشغاله بالهوية المتنقلة والانتماء المتعدد، في الوقت ذاته الذي ظل فيه النص عنده حاملا لقضايا الإنسان وهمومه المعاصرة. فالرواية عنده ليست بنية مغلقة، بل مختبر لغوي وفكري، كما في "مثلث الموت" و"تاريخ المرايا" و"السقشخي" و"البدلة البيضاء للسيد الرئيس" و"حب عتيق"، التي تلامس السياسي والاجتماعي بجماليات سردية عالية.

أما في النقد فقد أنشأ خطابا معرفيا تحليليا يتعامل مع النص ككائن حي يتطلب قراءة واعية لا تغفل ديناميكية التلقي والإنتاج، متجاوزا الانطباعية إلى التأويل العميق. لقد أصبحت أعماله موضوعا للترجمة والدراسة الأكاديمية والجوائز، لتؤكد أنه لم يكن مجرد كاتب بل كان مشروعا ثقافيا يتحرك برؤية وبصيرة.

بيئة الكاتب

● العرب: كيف كانت البدايات الأولى مع الكتابة؟ وأي الأجناس الأدبية كانت الأقرب إليك في مرحلة التكوين؟

■ لم تكن صدفة ولم يكن مخططا لها أيضا.. كان أبي ينظم الشعر الشعبي ويحدثنا حكايات شتائية طويلة عن الأسطورة والبيئة والميثولوجيا وغيرها، واكتشفت أن شقيقي الذي يكبرني بثلاثة أعوام يحفظ الشعر، وكنت أحضر "مطاراته الشعرية" مع زملاء له في عمره. وحين دخلت المكتبة العامة، التي تعني القراءة واستعارة الكتب، وهي مكتبة حكومية، من أجل أن أقرأ بهدوء للتهيئة لامتحانات السادس الابتدائي، اكتشفت أن لي ميلا إلى الأدب.

كنت أكتب الشعر خلسة، وكنت أقرأ الكتب الأدبية كالقصص والروايات خلسة أيضا في المكتبة العامة حتى لا أمنع من الذهاب إليها. من هنا بدأت العلاقة مع القراءة، ومن ثم وجدت نفسي أكتب وأنشر أول قصيدة في الصحف العراقية وأنا بعمر 15 عاما. كنت أقرأ أي عنوان يعجبني. كانت تجذبني العناوين لا الكتب، لأنني لا أسأل الآخرين. أقلب أوراق كارتون مرصوفة في مجرات صغيرة مكتوب على علبتها الخارجية: "أدب، علم النفس، التاريخ، الجغرافية"، وهكذا. لكن اليد تذهب إلى مجرات الأدب، واكتشفت أن حكايات أبي وأشعار أخي كانتا سببا في التوجه إلى القراءة التي بدأت وما انفكت منذ خمسين عاما كعمر ثقافي.

● العرب: تنقلت بين القصة القصيرة والرواية والنقد الأدبي. هل كان هذا التنقل مقصودا، أم هو تطور طبيعي مع نضج التجربة؟

■ منذ البدايات الأولى وجدت نفسي أنساق في معرفة كيفية الكتابة. وأطرح سؤالا مفاده: كيف يكتب المؤلف كتابه؟ على ماذا يعتمد؟ مثلما كنت أسأل: كيف يحفظ أبي كل الحكايات الغرائبية؟ لذا، كان الاهتمام منصبا على الإجابة، أو البحث عن الإجابة لهذه الأسئلة التي تتعلق بالإنتاج والتدوين وبنية الكتابة، كما أسميتها لاحقا. فحين نشرت أول نص شعري وكان من شعر التفعيلة، كتبت بعده أول قصة ونشرتها وأنا في سن التاسعة عشرة.

وبالتأكيد بينهما نصوص لم تنشر، لأنني لم أكن أعي ما أكتب، لكن لحظة النشر بدأت دون استشارة أحد. حتى إنني نشرت النص الشعري باسم غريب (علي السقشخي)، نسبة إلى مدينة سوق الشيوخ التي كنت أعيش فيها، وهي مسقط رأسي. لذا، فإن عملية الإنتاج بمختلف الحقول لا تعني تنقلا أو اختيارا، بل لأنني صرت، كما أردد دوما بعد رحلة العمر، "خياطا ماهرا". الفكرة هي نوع القماش، وأنا الخياط الذي يجيد ترتيبها وفق الجنس الذي تأتي إليه.

● العرب: كيف تنظر إلى العلاقة بين الكاتب وبيئته الاجتماعية والسياسية؟ هل كانت التحولات العراقية حافزا أم عائقا للكتابة؟

■ البيئة هي أس الكتابة الإبداعية. لا يمكن خلق بيئة أدبية خارجة عن البيئة التي يعيش فيها المبدع. الكتابة الأدبية ليست سياحة فكرية، بل هي استنباط لكل الفعاليات المرتبطة بين الواقع والمخيلة. لذا، فهي تحتاج إلى بيئة تساعد على الوصول إلى نقطة الاستنباط، نقطة الإدراك والاستدراك، نقطة المواجهة مع العملية التدوينية لإنتاج النص.

الكاتب ابن بيئته، ومن يخرج عنها فإنه يكتب هلوسات لا رابط بينها سوى اللغة. بمعنى أن البيئة هي الروح التي تدخل جسد النص الأدبي، وهي المحرك الأساس لأحد أهم عوامل ومفاتيح الإنتاج، وهو "المكان"، وما يقع عليه من فعاليات التدوين الأخرى كالزمن والشخصيات والوصف والصراع. وبالنتيجة، فإن ما يحصل في البيئة من تحولات، سواء كانت سياسية أو دينية أو ثقافية أو اقتصادية، يساهم في تبويب الأولوية الكتابية. وهذه التحولات سيجدها المنتج معينا لا ينضب، وتكون أحد عوامل التثوير، لا من عوامل الإعاقة. فكل زمن من التحولات له نصيب في الكتابة الإنتاجية، فما كان نصا خائفا في فترة معينة، فها هو يصبح النص الغاضب.

الرواية والزمن

● العرب: ما الذي دفعك لكتابة رواية "باب الدروازة"؟ وما الذي يمثله هذا المكان في ذاكرتك السردية والثقافية؟

■ "باب الدروازة" هي رواية البيئة والتحولات السياسية. هي الانتقالات البيئية بين المكان القديم والمكان الجديد، التحولات التي طرأت على المجتمع العراقي، سواء من الناحية الاجتماعية أو السياسية. وأنا دائما ما تكون رواياتي مبنية على هذه الثنائية: الواقع السياسي والواقع الاجتماعي، وإن كانت الثيمات متخيلة. بمعنى: أنا أكتب حكاية متخيلة على واقع حقيقي بالأسماء، من أجل إقناع المتلقي بأن ما يقرأه هو الواقع، كي يقترب مني لا يبتعد عني.

وبالنتيجة، كانت هذه الرواية التي كتبت مسودتها الأولى في مطلع ثمانينات القرن الماضي، ثم أخفيتها لأنها تتحدث عن فترة حصول التغيير السياسي عام 1979 في العراق وإيران. فكانت "باب الدروازة"، التي وجدت مسودتها، مفتاح التحول في طريقة التفكير ولمزج العلاقة بين السياسة والمجتمع، بما أسميه كمصطلح "السياجتماعي". إنها رواية المكان بكل تفصيلاته وتجلياته وبعض شخوصه الواقعية، لكن الحكاية كلها متخيلة، من أجل أن أصل إلى حالة الإقناع.

● العرب: شخصياتك غالبا ما تكون محملة بالقلق والتوتر والانتظار. هل تمثل هذه الحالة انعكاسا لقلق الذات العراقية؟

■ لأني أنا عشت هذا القلق والخوف.. الخوف عامل من عوامل البحث عن الراحة من خلال المضاد له، وهو المواجهة، والمواجهة لدي هي الكتابة، والتعويض عن نقصانات عديدة عشتها. الكتابة بحد ذاتها هي تعويض عن النقصان والخسارة. والكتابة بشكل عام لم تكن من أجل التوريد الثقافي، بل من أجل تصدير القلق والتعويض، هكذا أرى الأمر. لا كتابة تأتي، وخاصة في البدايات الأولى، إلا وهي مرحلة من مراحل البحث عن الذات والاكتشاف المرتبط بهذا البحث. وإلا، لماذا لم نتجه إلى فعاليات ومواهب أخرى؟

الكتابة بلا خوف لا تعني سوى أنها محنة فارغة، والخوف هنا يرتبط بالقلق كعامل نفسي. كلما كان المنتج خائفا وقلقا، كان نتاجه صحيحا وقويا، لأنه يخاف أن يمسه أحد بسوء، ويعيده إلى نقصانه أو حتى نقصاناته العديدة. وهذا الأمر لا ينطبق على المنتج العراقي فقط، بل يشمل المنتج العربي، وأعتقد العالمي أيضا. فلو بحثنا في البدايات لوجدنا أنه الخوف ووجود النقصان، لتكون المعادلة: نقصان حياتي مع خوف مما حولنا يساوي تعويض إنتاجي.

● العرب: هل تعتقد أن الرواية العراقية استطاعت أن تعيد كتابة التاريخ من منظور اجتماعي سردي مختلف؟ وأين تضع أعمالك ضمن هذا الاتجاه؟

■ الرواية العراقية مرت بأطوار عديدة أهمها النشأة في مطلع القرن العشرين، والتجديد في منتصف الستينات، ومن ثم رواية الخوف في المرحلة التي سبقت عام 2003، والتي أطلقت عليها "روايات الخوف"، والتي أنتجت روايات أو نصوصا سردية لها سمات التورية والقناع والترقب، ومحاولة الاقتراب من التجارب العالمية بروح بيئية خائفة. بمعنى: إنها روايات تحاول قول شيء من خلال الغاطس من جليد التورية.

أما الروايات ما بعد التغيير، أو ما بعد الاحتلال والغزو الأميركي، فقد جاءت بثوب غاضب، ثوب انفرج على حرية لالتقاط الأفكار وإنتاجها، والحكايات وتبويبها، وطرائق التجديد وتعبيدها، والتجريد وسبيله. لكنها كانت تعتمد على ردة الفعل المتناقضة بين زمنين: زمن الخوف الذي سببه الواقع السياسي آنذاك، وزمن الحرية أو الإفلات من قبضة الخوف، الذي جاء به زمن الاحتلال والواقع السياسي الجديد، الذي لم يكن إلا واقعا سياسيا مشوها، فتح الأفواه وأغلق الآذان.

لا يمكن لي أن أضع رواياتي في خانة أو تصنيف، لكني على الأقل واحد من بين الروائيين الذين ينتجون بمحبة روايات الواقع العراقي. وقد أطلق علي الناقد المصري خالد عبدالغني، في متابع نقدي عني، أني "نجيب محفوظ الرواية العراقية الجديدة".

● العرب: كيف تتعامل مع الزمن في رواياتك؟ هل هو زمن خطي أم دائري؟ وهل تتعمد اللعب الزمني في البناء؟

■ الزمن مفعول وفاعل مهم، فهو الأس الذي يقع بين المخيلة في الحكاية والمكان الواقعي. هو سر البيئة التي تحدثنا عنها. الزمن مفتاح أولي، لذلك يكون اللعب على الزمن هو اللعب على كل مفاتيح إنتاج النص، في الرواية وغير الرواية. الزمن يبني التحولات التي يحتاجها النص، فهو تقع عليه مسؤولية تبيان وإيضاح المتغيرات. فالمكان ثابت، والشخصيات تقود الحدث، والحدث هو الذي يعطي للزمن مفاتيح القبول. وفي رواياتي أستخدم الزمن في تغيرات تعاقبية تقع ما بين الخطية والدائرية، لأني لا أميل إلى الكتابة التصاعدية في الرواية، بل إلى أن يشاركني المتلقي فاعلية الاستنتاج والتأويل.

● العرب: برأيك كيف تقيم تفاعل النقاد العرب مع الرواية العراقية ما بعد 2003؟ وهل هناك قطيعة نقدية حقيقية أم مجرد فجوة معرفية؟

■ الرواية العراقية لا أقول لها الريادة، بل لها الفرادة في التحول من "رواية الحكاية" إلى "رواية الفكرة"؛ الفكرة التي تنطلق في مناقشة الأفكار، كما لا تسطير الحكاية لإنتاج الفكرة، كما أوضحت. لذا، فإنها رواية قد تكون متعبة لأن واقعها متعب، وقد تكون رواية الجهد العقلي لأن واقعها يحتاج إلى الكثير من الفهم من أجل الإمساك بالنقطة المضيئة. هذه الخاصية ليست وليدة اليوم، بل هي وليدة روايات كما أطلقت عليها "روايات أو أدب الخوف"، حيث لجأ الأديب العراقي إلى التورية والقناع للتخلص من قبضة السلطة. فالمباشرة كانت تعني الهلاك والتغييب القسري والوقوع في مساءلة السلطة.

لقد كتبت مثلا رواية "مواسم الإسطرلاب"، وهي رواية أرادت أن تجيب على سؤال الفكرة: من يصنع الدكتاتور؟ ولذلك لجأت إلى الميثولوجيا والقناع من خلال اجتراح بطل يرى أمراض الناس من خلال المرآة، ثم يتحول إلى طاغية يقطع عوْرات الناس المعارضين له. وقد كتب عنها نقاد كثيرون، ووصفوها بأنها أول رواية عربية ليس فيها مكان أو زمان أو اسم بطل أو شخصيات معروفة. فهي تندرج ضمن الأدب الخائف والأدب الغاضب معا.

الخوف والنقصان هما محرك الكتابة الأول

النقد والكتابة

● العرب: في كتابك "الاشتغال التدويني في القصة العربية الحديثة"، تبدو مهتما بسرديات التوثيق والتشظي. ما الذي أثارك في هذا النمط السردي تحديدا؟

■ النص الأدبي لم يعد نصا للحكاية التي تعتمد على وجود ثيمة فحسب، بل يحتاج إلى التفاعل بين الفكرة والعقل، وليس الحكاية والعاطفة، في بلورة القبول لدى القارئ. فأنا أفرق بين القارئ والمتلقي، لأن القارئ يتعامل عاطفيا مع النص، والمتلقي يتفاعل عقليا مع النص.

لهذا، فإن الاشتغال هو الذي يحدث الفرق بين الجهد التفكيري وفاعلية الإنتاج النهائي، وقد أنتجت لهذا التوضيح ثلاثة كتب: واحد للرواية أسميته "فهم اللعبة الإنتاجية"، والثاني "فاعلية الاشتغال في الشعر العربي الحديث"، والثالث "فاعلية الاشتغال في القصة العربية". ومن هنا وجدت أن النص الأدبي أصبحت له خاصية إنتاجية لم تعد كما كانت قبل عقود أو حتى في مطلع الألفية الثالثة، بل هو يغوص في كل الممكنات الداخلية والخارجية التي يحتاجها النص، لا لكي ينتجه نصا عاطفيا، بل لكي يعطي الفكرة فاعليتها الفكرية.

أنا لا أميل إلى الكتابة التصاعدية في الرواية، بل أسعى إلى أن يشاركني المتلقي فاعلية الاستنتاج والتأويل

● العرب: في كتاباتك النقدية تُظهر تأثرا بالمناهج الحديثة كالتحليل السيميائي والتفكيك. ما أدوات الناقد التي تراها ضرورية لفهم النصوص الآن؟

■ أولا، أنا أفرق بين النقد الأدبي والنقد الأكاديمي، وأنا لست ناقدا أكاديميا، ولهذا بعض الأكاديميين لا يميلون إلى نتاجي النقدي قبل قراءته، لأنه لا يحمل الصبغة المنهجية، وقد غادرت حتى مسلمات الهوامش والإحالات التي تتعب المتلقي أكثر مما تعطيه الأفضلية في معرفة ما هو الجديد.

أنا أتبع ذائقتي الكتابية وممارساتي في التحليل والفهم. أي أنا أنطلق من كوني منتج نص، لا خريجا أكاديميا. بمعنى أيضا: أنا في النص، لا أبحث عن نص كي أضع عليه آرائي النقدية. لذا، فإن الناقد الأدبي الذي أميل إليه لا يبحث عن أدوات جاهزة، بل عما يعطي النص نفسه من فواعل نقدية، وإن كانت له بصمة نقدية خاصة به في طريقة تبويب المقال النقدي أو الكتاب النقدي.

● العرب: كناقد، كيف توازن بين تحليل النصوص وممارسة الكتابة السردية؟ وهل تتقاطع الرؤى أم تتصادم أحيانا؟

■ في داخلي أكثر من أديب إن أردنا التوصيف الدقيق، رغم أنني أرى أنني أمارس الكتابة بذات الحروف التي تؤلف اللغة. يعني لم أغادر إلى فنون أخرى كالموسيقى أو النحت، وإن كان الانتقال، لمن يمتلك الموهبة والمقدرة، أمرا صحيحا. لذا، فإن التوازن موجود، لأن البدايات التي كنت عليها كانت صحيحة. وحين يكون النقد مبنيا على روح الفلسفة وأهمية السؤال، فالأمر سيكون متاحا. لأن المشكلة، كما أكرر دائما، ليست في الإجابة، بل في السؤال الذي يأتي بالإجابة. فلا تصادم بين الرؤى النقدية والرؤية الإنتاجية للنص الأدبي، فكلتاهما أبحرتا في داخلي، وأنا من يقود سفينة التدوين.

● العرب: كيف ترى العلاقة بين المثقف والسلطة في العراق؟ وهل تغير موقع المثقف بعد 2003؟

■ هناك حقيقة أن أية علاقة بين المثقف والسلطة تعني موت المثقف أو موت منتج النص. فالسلطة لا تهتم بالمثقف إلا من كان قريبا منها، لذا هي تخافه. لكن الحقيقة الأخرى أن العلاقة في العراق بعد عام 2003 صارت غير حميدة، بل هناك فسحة من الحرية التي قد تنفلت أساسا لتصل إلى الفوضى، وقد تكون محسوبة لتصل إلى الإنتاج المفيد.

الواقع الجديد منح الأدب سمة جديدة، كما ذكرت، وأسميته الأدب الغاضب، لأننا نحن الكتاب نحمل في داخلنا غضبا على الواقع الذي عشناه سابقا وسنعيشه لاحقا، فنمارس الآن دور جلد الذات من أجل أن نخلق منفذا للتنفس. وقد تحولنا من إيجاد البديل عن النقصان، إلى البديل عن الاختناق السياسي.

العرب
الأحد 2025/08/03
السنة 48 العدد 13564

الخطاب القرآني يستعمل القناع السردي في قصص الأنبياء العرب

هود وصالح وشعيب قصص متشابهة وأقنعة لإسقاط الحاضر على الماضي

يزخر النص القرآني بالكثير من القصص الملهمة والمثيرة للاهتمام، وإضافة إلى نظرة التقديس التي يكنها المسلمون لهذا الوحي الإلهي، فإن هناك مقاربات أخرى يمكننا من خلالها فهم قصص القرآن، من بينها المقاربة الأدبية، فالقصة في نهاية الأمر ضرب من الأدب، وإن كان السياق مختلفا هنا بين النص المقدس والخيال الأدبي.

محمد سعيد احجيوج
كاتب مغربي

روائيًا لا بوصفه مادة لسيرة ذاتية، بل بوصفه قناعًا يُسهم في مقاربة قضايا شائكة مثل تعقيدات الهوية المغربية في سياق الصراع العربي-الإسرائيلي، إضافة إلى التداخلات الفاسدة في عالم النشر والجوائز الأدبية. لم يكن المقصود هو إعادة بناء سيرة إدمون، إنما استخدامه كمرآة تعكس التوترات البنيوية في الثقافة العربية المعاصرة، وتستدعيها داخل حوار روائي سمحت تقنية القناع بالرفع من مستوى تعقيده وانفتاحه على التأويل.

بهذا، التقنية الأسلوبية في استخدام أقنعة لإسقاط الحاضر على الماضي، تتحرر الشخصية التاريخية أو الأسطورية من قيود التوثيق، وتتحول إلى رمز، إلى حاوية تأويلية تعبّر عن الحاضر لا الماضي. إنها لا تُستدعى لأجلها، بل لأجل ما تستطيع أن تُضيئه في اللحظة الراهنة، فيحضر القناع بغرض الكشف والاقتحام، لا التخفي والهروب.

عند تأمل السرد القرآني لقصص الأنبياء المنتمين إلى الماضي العربي (هود، صالح، وشعيب) تتكشف أمام القارئ بنية سردية محكمة التماثل، إلى حدّ يبدو معه كل نبي كأنه تكرار للآخر في قالب سردي موحد. يتجاوز الأمر مستوى التشابه في المسار العام ويتعداه إلى تماثل دقيق في العبارات، والمواقف، والاستجابات، والنهايات، مما يجعل القصة وكأنها تُعاد ثلاث مرات تحت أسماء مختلفة، بجوهر واحد. ألا يذكرنا هذا بطبيعة الصراع الدائر في مكة بين النبي محمد وكفار قريش؟

تبدأ كل قصة بالتمهيد ذاته تقريبًا، جملة افتتاحية تؤطر النبي داخل جماعته، وتقدمه بوصفه أخًا لهم، لا غريبًا ولا دخيلًا، تماما كما هو النبي محمد مع أهله في مكة، وبعدها دعوة التوحيد بالصيغة نفسها.

وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ (الأعراف: 65).

إِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُّجِيبٌ (هود: 61).

وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ (الأعراف: 85).

تتكرر بعدها ردود الفعل ذاتها من القوم، تشكك في صدقية النبي، وتنفي عنه الاصطفاء الإلهي، عبر خطاب يرتكز على التشابه البشري:

مَا أَنتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا (الشعراء: 154).

قَالُوا مَا أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَمَا أَنزَلَ الرَّحْمَٰنُ مِن شَيْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ (يس: 15).

قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ (الأعراف: 66).

ثم يتصاعد الإنكار إلى تحدٍّ مباشر، يُطلب فيه من النبي إثبات دعوته عبر إنزال العذاب، في مشهد يتكرر بصيغ متقاربة:

قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ (الأعراف: 70).

قَالُوا أَجِئْتَنَا لِتَأْفِكَنَا عَنْ آلِهَتِنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ (الأحقاف: 22).

وتُختم كل قصة بالنهاية نفسها، تنقذ النبي والذين آمنوا معه، وتهلك القوم المكذبين:

فَأَنجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَقَطَعْنَا دَابِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَمَا كَانُوا مُؤْمِنِينَ (الأعراف: 72).

يكشف هذا التكرار المنهجي عن بناء رمزي محكم يُسخّر شخصيات الأنبياء لتأدية دور وظيفي داخل بنية خطابية محددة. كل نبي من هؤلاء يصبح تجليًا من تجليات نموذج رسالي واحد، يُستدعى لإعادة تأكيد فكرة التوحيد ورفض الوثنية، وتصوير الصراع بين الإيمان والتكذيب بوصفه ثابتًا لا يتغير. وما يبدو ظاهريا ثلاث سير نبوية مختلفة إنما هو تمثيل متكرر لصيغة رسولية واحدة، يُعاد تدويرها لتخدم غرضًا خطابيا متعلّقًا بالسياق القرآني، لا بالتاريخ الموضوعي. فالنص لا يسعى إلى التاريخ بقدر ما يهدف إلى بناء ذاكرة رمزية، تُقدّم للمتلقي العربي نماذج قريبة منه في الجغرافيا والهوية، وتُعيد طرح الصراع النبوي على أرض مألوفة، تمهيدًا لتلقي رسالة النبي محمد بوصفها الحلقة الأخيرة في سلسلة هذا الصراع المتجدد.

الدلالات الوظيفية

عند التمعّن في أسماء الأنبياء الثلاثة المنتسبين للقبائل العربية، البائدة، يتجلّى بوضوح أنهم يُستحضَرون داخل النص بوصفهم رموزًا وظيفية أكثر من كونهم ذواتًا مستقلة، بصفتهم رموزا لا أشخاصا ذوي تاريخ فردي خاص. لا ينحصر أداء الأسماء في دور الهوية الشخصية الفردية بقدر ما يضيء البعد الدلالي والرمزي لشخصية النبي، فتُصبح مفتاحًا وظيفيًا يحدد دور النبي داخل البنية السردية للوحي القرآني، بوصفه رسولًا يؤدي مهمة محددة في معركة الهداية والصراع مع الكفر.

نبدأ بـ "صالح"، وهو اسم مشتق من الجذر ص-ل-ح، الذي يرتبط مفهوميًا بالصلاح والاستقامة وتقويم الفساد. يحمل الجذر دلالة أخلاقية شديدة التركيز، تتمحور حول الفعل الإصلاحي الموجّه إلى مجتمع معطوب أخلاقيًا أو منحرف عقديًا. صيغة فاعل التي ورد بها الاسم تُستخدم غالبًا للدلالة على الفاعل المهني أو الوظيفي، كـ: داع، ناصح، حارس، وهي صيغ ترتبط بالفعل المستمر والانخراط في مهمة. "صالح"، بهذا الاعتبار، يشير إلى هوية رمزية تحمل عبء إصلاح الخلل المجتمعي، وتصحيح مسار الجماعة التي أعرضت عن التوحيد والعدل.

أما "هود"، فاشتقاقه من الجذر هـ-و-د يُفضي إلى معانٍ تتعلّق بالعودة والميل والهدى، ومنها الفعل هادَ يهود، أي مالَ ورجع. في هذا المعنى، يصبح الاسم دالا على فاعل يدعو إلى التوبة، ويقود قومه نحو الرجوع إلى الطريق القويم بعد انحراف. ينسجم هذا المعنى تمامًا مع الدور الذي أوكله القرآن لهود في مواجهة عاد، قوم البغي والطغيان. لكن عند التعمق في البنية اللغوية للاسم، تظهر قراءة جذورية أوسع، تضعه ضمن سياق ثقافي أقدم. يمكن تفكيك "هود" إلى جزأين: "هَـ" بوصفها أداة تعريف مستخدمة في بعض اللهجات العربية الجنوبية القديمة، كالسبئية، و"ودّ"، وهو أحد أبرز الآلهة في الجاهلية. لكن السياق الآن لا يتحمل هذا التشعب.

نصل إلى "شعيب"، الجذر ش-ع-ب يحمل طيفًا من المعاني المتصلة بالتفرّع والانقسام والتشعّب، وأحيانًا بالجمع والتوحيد ضمن "شَعْب" أو جماعة. وصيغة فُعَيْل توحي إما بالتصغير، أو بالتخصيص المحبّب، أو حتى بالتكثيف الرمزي. بهذا، قد يُفهم "شعيب" بوصفه الفرع المنتمي إلى الشعب، أو من يعيد لَمَّ ما تفرّق، أو حتى من يخرج عن الجماعة، وكلها دلالات تنسجم مع الدور الذي أدّاه في مجتمع مدين الموصوف قرآنيًا بالفساد الاقتصادي والاجتماعي.

يتيح الاسم أيضًا قراءة خطابية أكثر عمقًا، إذ يمكن أن يرتبط بالفعل "شَعَبَ"، أي وسّع وفصّل، وهي دلالة تتسق مع الروايات التي تصف شعيب، في الموروث الإسلامي وإن دون سند قرآني، بأنه خطيب الأنبياء.

من خلال هذا المنظور، يمكن القول إن هذه الأسماء الثلاثة تمثل طبقة رمزية في الخطاب القرآني، تُستخدم بوصفها أقنعة دلالية لتحديد أدوار رسولية داخل بنية خطابية تهدف إلى بناء ذاكرة توحيدية، وربط التجربة النبوية، المحمدية، بمحطات رمزية تُجسّد ثوابت العقيدة. فـ "صالح" هو الإصلاح، و"هود" هو الرجوع، و"شعيب" هو التفصيل والتشعب والبيان. كل اسم مفتاحٌ لمعنى، ووظيفةٌ لسرد، وصوتٌ من أصوات الوحي التي تؤسس لحضوره في الذات والزمان معًا.

غايات ودوافع التوظيف

يمثل اعتماد أسلوب القناع في سرد قصص الأنبياء العرب في القرآن أداةً إستراتيجية تُوظّف لخدمة مقاصد كبرى تتصل بجوهر البلاغ القرآني، وبالظروف النفسية والاجتماعية والسياسية التي أحاطت بالدعوة في مرحلتها المكية، وتُستدعى القصص القديمة وتُشكّل من جديد لتصبح جهازًا رمزيًا يُنجز مهام متعددة في وقت واحد، دون إثارة المواجهة المباشرة.

بناء الإطار النفسي للجماعة المؤمنة: تأتي قصص هود وصالح وشعيب لتعزيز ثقة المسلمين الأوائل بمسارهم، في وجه التهديدات والتكذيب والإيذاء. فحين يُخبرهم الوحي بأن ما يواجهونه اليوم قد واجهه أنبياء سابقون في ظروف مشابهة، بل متطابقة، تتغير دلالة المعاناة من كونها مأساة فردية إلى كونها علامة من علامات الطريق النبوي، وشرطًا من شروط الصعود الأخلاقي والروحي. هذا المعنى تجسده عديد من الآيات التي تُقدّم سردية متكررة يُستهل فيها خطاب كل نبي بنداء التوحيد، ويُقابل بالتكذيب، ثم يُختتم بالنجاة والنصر.

قصص خلقت رموزا مؤثرة (لوحة للفنان ساسان نصرانية)

عبر تقنية القناع يتحوّل الصراع في مكة من نزاع محلي بين النبي وقريش إلى مواجهة كبرى بين التوحيد والشرك

فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ (91) الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْبًا كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا فِيهَا الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْبًا كَانُوا هُمُ الْخَاسِرِينَ (92) فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ فَكَيْفَ آسَىٰ عَلَىٰ قَوْمٍ كَافِرِينَ (93) وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّبِيٍّ إِلَّا أَخَذْنَا أَهْلَهَا بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ (الأعراف: 91-94).

هذه الخاتمة تمنح المؤمنين في مكة شعورًا بأن المصير الإلهي لا يتخلف، وأن الغلبة في نهاية المطاف لمن يتمسكون بالحق، حتى لو طال الانتظار.

التهديد الرمزي للخصوم: بدل أن يُواجه الوحي قريشًا بالوعيد الصريح، يُقدّم لهم مصائر عاد وثمود ومدين على أنها نماذج تاريخية لما يحدث حين يُكذّب الرسل ويُستضعف الحق. هذا التهديد غير المباشر أكثر عمقًا وأبلغ أثرًا، لأنه لا يُشعر المتلقي بأنه مُستهدَف، إنما يضعه أمام مرايا من الماضي قد يرى فيها صورته الحاضرة. بهذا التلميح المُحمّل بالسوابق التاريخية، يتم تحييد المقاومة النفسية، وتُصبح القصص وسيلة إقناع هادئة لا صراعًا مباشرًا.

رفع الصراع من المحلي إلى الكوني: عبر تقنية القناع، يتحوّل الصراع في مكة من نزاع محلي بين النبي وزعماء قريش إلى مواجهة كبرى بين التوحيد والشرك، بين نور الرسالة وظلمة الجاهلية. بهذا التوسيع المفاهيمي، يتجاوز الوحي القرآني اللحظة الزمنية، ويمنحها شرعية نبوية تتصل بسلسلة الأنبياء، مما يجعل الانتماء لهذا الصراع موقفًا أخلاقيًا مصيريًا، لا مجرد خيار سياسي.

ومن جهة أخرى لا يعود النبي محمد رسولا يواجه ظرفًا خاصًا، بل تتجلّى نبوته داخل سياق أعظم: هي سنّة الله في عباده. يصبح التاريخ نفسه هو من يتكلم على لسانه، وتصبح معاناته تجسيدًا حيًا لمعاناة سابقة عاشها أنبياء مثله، نُبذوا، كُذّبوا، أوذوا، ثم انتصروا.

كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ ذُو الْأَوْتَادِ (12) وَثَمُودُ وَقَوْمُ لُوطٍ وَأَصْحَابُ الْأَيْكَةِ أُولَٰئِكَ الْأَحْزَابُ (13) إِن كُلٌّ إِلَّا كَذَّبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ عِقَابِ (ص: 12-14).

في المجمل، فإن أسلوب القناع في هذه القصص يمثل أداة تفسير وتأويل، تُحوّل الماضي إلى منصة لفهم الحاضر، وتُقدّم للنبي محمد وللمؤمنين منظومة رمزية متكاملة تشرح، وتثبّت، وتُهدّد، وتؤطّر، وتُبشّر، دون الدخول في صدامات مباشرة. لا تتوقف هذه القصص عند مستوى التأريخ لأنبياء منسيين، إنما هي بناء درامي يعكس ملامح الواقع المكي، ويسمح للخطاب القرآني أن يتوجه للمؤمنين، كما الكفار، بصيغة تربوية وتكوينية ترسّخ النموذج النبوي في الوعي الجمعي، وتؤطر معنى المقاومة والمعاناة ضمن سنّة ربانية لا تتبدّل. وهكذا، فإن كل نبي يُستدعى لا بصفته التاريخية، بل بصفته الوظيفية: المُصلح، الداعي، الخطيب. وكل قوم لا يُذكرون كقبائل بائدة وحسب، بل كوجوه متكررة للشرك والعناد والجبروت، التي تُولد وتُباد مرة بعد مرة في ساحة التاريخ.

وسواء أكانت هذه الشخصيات حاضرة فعلًا في الذاكرة العربية ما قبل الإسلام، أم صيغت رمزيًا داخل الوحي القرآني، فإن تأثيرها يتجاوز حدود الواقع والتاريخ. لقد أصبحت أدوات خطابية بالغة النفاذ، تُحرّك الوجدان، وتُربّي العقل، وتُعزّز الصبر، وتُهدّد دون تصريح، وتُعلي من شأن المعركة لتصبح صراعًا كونيًا. إنها بلاغة القناع في أرقى تجلياتها: حين تُستخدم للتكثيف لا التخفي وللإقناع دون صدام.

فهل قصة هود تتجاوز عادا لتتحدث عن شيء أعمق؟ وهل صالح وشعيب يحملان رسائل تمتد إلى ما وراء ثمود ومدين؟ وإلى أي حد يمكن أن تكون تجاربهم انعكاسات لتجربة النبي محمد في لحظة من أشد لحظات الصراع توترًا في مكة؟

العرب
الأحد 2025/08/03
السنة 48 العدد 13564

براغ.. المدينة الذهبية تعلمك العزلة دون أن تشعرك بالوحدة

على ضفاف نهر فلتافا تختبئ براغ كحكاية لم تُحكَ بعد

هناك مدن تحتفي بالأفراد ومدن تذوبهم في المجموعة، وبراغ عاصمة التشيك وأكبر مدنها من النوع الأول، حيث تحتضن كل من يزورها بصفته فردا بين الحشود، وتقدم له تلك الرحلة التأملية دون تعسف أو تباه أو غيره. إنها مدينة تعيشها بكل حواسك، ووجه يختزل كل وجوه أوروبا الشرقية.

عبدالكريم البليخ
صحافي سوري

ليست براغ مجرد مدينة تنتمي إلى الجغرافيا، بل هي كيان ينبض على إيقاع الزمن البشري، في تداخله العميق بين التاريخ والمعمار، بين الهوية والحنين، وبين الإنسان والمكان. إنها عاصمة جمهورية التشيك وأكبر مدنها، والمركز التاريخي لمنطقة بوهيميا، ولكنها في جوهرها تتجاوز المعنى الإداري لتغدو مرآةً لروح أوروبا الوسطى، بجمالها الملتبس بين الشفافية والظلال.

تقع براغ على ضفاف نهر فلتافا، كأنها تستند إلى مجرى الزمن ذاته، وتراقب العالم من علياء ضفافه المتعرجة، دون أن تندفع أو تهادن. هذا النهر، الذي يُشبه شرياناً ممتداً بين ذاكرة المدينة وحاضرها، لا يجري فحسب، بل يُنصت، يحمل الحكايات على سطحه، ويمنح براغ ماءها الهادئ وحكمتها المتأنية.

> مدينة تعرف كيف تحتفظ بشخصيتها، لا تُغريك بحداثة فجة، ولا تُقيدك بتقليد بل تمضي معك في حوار صامت

يبلغ عدد سكان المدينة ما يقارب 1.4 مليون نسمة، فيما تمتد منطقتها الحضرية لتحتضن نحو 2.3 مليون روح. لكنّ أرقام السكان هنا لا تعني الاكتظاظ بقدر ما توحي بالتمازج. فبراغ لا تزدحم، بل تتنفس عبر كثافتها البشرية، وتستوعب تناقضاتها الاجتماعية والثقافية كمن يحتضن أبناءه على اختلاف طبائعهم وتاريخهم. إنها مدينة تُشبه أسرة كبيرة لم تتفق يوماً على شيء، لكنها اجتمعت على محبة الصمت، وعلى الإيمان بأن الزمن لا يُقاس بالساعات فقط، بل أيضاً بعدد القصص التي تُروى عند نوافذها.

قصيدة لا تروى

تمتد براغ على مساحة 496 كيلومتراً مربعاً، مساحة ليست بالكبيرة مقارنة بعواصم العالم، لكنها كافية لتُخبّئ العالم كله داخلها. في كل شارع، تظهر ملامح من ثقافات شتى، وأعمار متداخلة، وصراعات ناعمة بين الحداثة والتراث. مدينة تعرف كيف تحتفظ بشخصيتها، لا تُغريك بحداثة فجة، ولا تُقيدك بتقليد متصلّب، بل تمضي معك في حوار صامت، يُعيد تعريفك بالعالم من حولك. وعلى ارتفاع 235 متراً فوق سطح البحر، تقف المدينة لا على أرضها فقط، بل على طبقات الزمن، تراقب الحقب تتعاقب، والمراحل تتبدل، دون أن تتخلى عن هيبتها الصامتة. الارتفاع هنا ليس رقماً طبوغرافياً فحسب، بل دلالة نفسية، كأن المدينة اختارت أن تكون على مسافة من ضجيج العالم، لترى بشكل أوضح، وتحب بشكل أعمق، وتغفر دون أن تُعلن.

براغ، بتفاصيلها الديموغرافية والمعمارية والروحية، ليست معادلة تُحلّ، بل قصيدة تُتلى على مهل. فهي المدينة التي يتساكن فيها الإنسان مع ظله، حيث لا تضيع ملامحك وسط الزحام، بل تتضح، وتُصقل، وتعود إليك محملة بتجربة أثمل. إنها المكان الذي لا يسكنك فحسب، بل يُعيد تشكيلك.

لبراغ العديد من الألقاب مثل المدينة الذهبية وأمّ المدن وقلب أوروبا وتعرف أيضاً بالمدينة ذات المئة برج نظرا لكثرة الأبراج فوق قصورها.

تعد براغ إحدى أهم المدن السياحية في أوروبا فالمدينة تمتاز بالسحر المعماري للمباني المشيّدة وفق مختلف المدارس والطرازات سواء من الفن الحديث أو الفن الباروكي ومن فن عصر النهضة والقوطي وغيرها.

قلعة براغ أكبر قلاع العالم ومقر الحكام في تشيك على مر العصور من زمن حكام المنطقة الرومان وملوك بوهيميا وحكام العهد الشيوعي حتى حكام فترة ما بعد الشيوعية. تقع في الجزء الشرقي من العاصمة التشيكية براغ وتحديداً في حي القلعة التاريخي.

جسر كارل جسر شهير في العاصمة التشيكية براغ. يعتبر من أهم المعالم السياحية في التشيك وأوروبا الوسطى. يبلغ طول الجسر 516 مترا ويصل عرضه إلى عشرة أمتار. يربط ضفتي نهر فلتافا.

ساعة فلكية تعود إلى عهد العصور الوسطى. يعود أقدم ذكر للساعة إلى سنة 1410، وهي بذلك ثالث أقدم ساعة فلكية في العالم، وأقدم واحدة لا تزال تعمل إلى يومنا هذا.

في حضن أوروبا، حيث تسكن المدن على ضفاف الزمن كأسرار مدفونة تحت حجارة الأرصفة، تطلّ براغ كأغنية حزينة لا يُعرف تماماً إن كانت نغمة الفرح فيها تنبع من حنينها أم من كبريائها الجريح. هناك، على ضفاف نهر فلتافا المتأنّي، حيث ينثني الماء على هيئة فكرة، تختبئ براغ كحكاية لم تُحكَ بعد. وحين وطئت قدماي أرضها، لم أكن أسعى لاكتشاف جديد، بل لدهشة قديمة، تلك التي توقظ الحنين الخامد في الصدر كغبار مدينة نسيها المطر، أو كصدى صوت لم يعد يُردّده أحد.

براغ ليست مدينة تُزار، بل تُعاش. فهي ليست محطة، بل مصير. لا تشبه باريس في استعراضها للفخامة، ولا تشبه روما في انغماسها بالتاريخ، إنها مدينة تشبهك إن كنت على حافة تأمل، على حافة وجع ناعم، على حافة زمن لم يعد يسعفنا. في كل شرفة معلّقة، في كل نافذة مائلة على نحو شاعريّ، كانت تهمس لي المدينة وكأنها تقول "أبطئ... كل شيء هنا خُلق لغير العجلة."

تُلقب براغ بـ"المدينة الذهبية" و"مدينة المئة برج"، لكن هذه الألقاب لا تفيها حقّها؛ فليس الذهب وحده ما يلمع فيها، بل الحنين ذاته يُصقل فيها حتى يبرق، والذاكرة تعيد تشكيل نفسها على هيئة حجارة وأقواس وظلال. على الجسور التي تعبر نهر فلتافا، حيث المارة يتناثرون بين تماثيل القديسين والنُصب، لمحتُ الزمن كما لم أره من قبل، لا كخط مستقيم بل كدوامة متكررة، وكأنّ المدينة تحاول أن تُقنعك أن الماضي ليس شيئاً ولّى، بل هو ببساطة مستمر بطريقة أكثر هدوءاً.

المدينة نادرة في هندستها، إذ لم تدمرها الحرب كما فعلت بغيرها من مدن أوروبا. فقد حافظت براغ على عذريتها المعمارية، على نقاء طرازاتها المتداخلة من الرومانيسك إلى القوطي، من الباروك إلى فن الآرت نوفو، ومن العمارة الاشتراكية الصارمة إلى تجريبية التكعيب وفانتازيا "البيت الراقص". يبدو وكأن كل حي فيها يُعيد رواية القصة ذاتها بلغة معمارية مختلفة، وكل قصة تبدأ من نافذة وتُروى من خلال قوس، وتنتهي عند ظل تمثال أو بلاطة مرصوفة منذ قرون.

زمن يسكن الحجارة

قلعة براغ، التي تطل من عل كملكة لم تعد تحكم ولكنها لا تزال تراقب، كانت تروي لي الحكاية في صمت. هناك، بين أروقتها وساحاتها، بين كاتدرائية القديس فيتوس ومكتبة ستراهوف الباروكية، شعرت أن العمارة ليست مجرد بناء، بل بيانٌ فلسفيّ عن الزمن، عن الروح، عن الإنسان.

في حي المدينة القديمة، "ستاري ميستو"، حيث الساعة الفلكية لا تعلن فقط الوقت بل أيضاً أسرار الكون، شعرت بوجود كافكا، لا ككاتب فقط، بل كظل دائم للمدينة. كتب عن براغ قائلاً: "هذه المدينة لا تترك أحداً يرحل منها بسهولة،" ولم تكن العبارة مجازية. فبراغ لا تسمح لك بالمغادرة، بل تحاصرك بالأسئلة، وتمنحك وهم الألفة لتبقيك فيها حتى لو غادرت. حتى الجدران هناك تنطق بالمتاهة، وكل زقاق يُذكرك بأنك داخل حلم ليس لك، لكنه يشبهك.

كافكا لم يكن يتحدث عن مدينة، بل عن قدر. في براغ، تختبر غربتك بشكل أكثر حميمية؛ لأن المكان لا يقدّم لك إجابات، بل يضع أمامك مرآة قديمة مغطاة بالغبار ويقول لك: انظر.

التاريخ في براغ ليس مؤرخاً فقط في المتاحف ولا معروضًا في القلاع، بل هو مادة يومية تتنفسها في الطرقات، في جدران الأديرة، في المقاهي القديمة، في المعارض الفنية حيث تتجاور لوحات ألفونس موتشا مع أعمال الفن المعاصر في مركز "دوكس". هنا، لم تكن الثقافة يومًا ترفًا، بل ضرورة وجودية.

حين تزور الحي اليهودي، تتعثر بخطوات التاريخ التي لم تُمحَ. المقبرة القديمة هناك، بتراكم قبورها واحداً فوق الآخر، لا تُظهر فقط ضيق المساحة، بل تُجسّد تراكم الزمان والذاكرة. ومتحف الشيوعية لا يروي حقبة سياسية فقط، بل يكشف أثر الأيديولوجيا في النسيج الروحي للمدينة.

من يزور براغ لا يذهب من أجل قائمة المعالم السياحية فقط. صحيح أن قلعة براغ وجسر تشارلز وكنيسة القديسة باربرا في كوتنا هورا تجذب الأنظار، لكن ما يخطف القلب حقاً هو ما بين السطور: المشي في شارع "باريزكا"، النظر من أعالي تل بترين، أو الجلوس في مقهى اللوفر حيث اعتاد أينشتاين وكافكا أن يحتسيا قهوتهما.

في حديقة "ليتنا"، حيث الأشجار تحرس المدينة وتطل على مشهد بانورامي لنهر فلتافا، وجدت نفسي في صمت الطبيعة الذي يشبه صلاة. فبراغ لا تملأ سمعك بالضجيج، بل تغريك أن تصمت، أن تتأمل، أن تعود إلى نفسك.

المطبخ التشيكي ليس مجرد تجربة طهي، بل هو حكاية أخرى عن الحنين. في طبق Goulash الساخن، وفي حساء الثوم التقليدي esne ka ، وفي عجينة Trdelník الملفوفة على الجمر، تتجلى الروح القروية، روح أوروبا الشرقية بكل ما فيها من دفء ومعاندة للبرد. الجعة البوهيمية، ذات الفقاعات الكثيفة والنكهة العميقة، لا تُشرب فقط، بل يحتفى بها كجزء من الهوية الوطنية.

جامعة كارلوفا، التي تأسست عام 1348، ليست مبنى تعليمياً فحسب، بل هي عمق تاريخي يتردد صداه في الوجدان الثقافي للمدينة. هناك، بين جدرانها، تتجسّد الفكرة القائلة بأن المعرفة ليست أداة بل نمط حياة. ولعل هذا ما يُفسّر أن الثقافة في براغ ليست مؤسسات فقط، بل أسلوب عيش.

حتى الحياة الليلية هناك ليست مجرد سُكر وعربدة، بل مسرح للبحث عن الذات، من البارات السرية إلى الحدائق التي تتحوّل ليلاً إلى منصات موسيقية، من بار Hemingway الفخم إلى جدار Lennon النابض برسائل السلام.

> رغم شعبيتها السياحية، براغ ليست مدينة تزدهر بالحشود بل هي مدينة للأفراد، للعشاق، للمُنهكين الباحثين عن ذواتهم

حتى تحت سطحها، تواصل براغ رواية قصتها السرية. في أنفاقها القديمة، وأقبية قلعتها، ومتحف الكيمياء، نلتقي بعالم لم يعد يُرى ولكنه لا يزال يُحسّ. الكيميائيون الذين كانوا يبحثون عن حجر الفلاسفة، ربما لم يجدوه، لكنهم تركوا خلفهم أسئلة وأحلاماً تسكن الجدران.

براغ لا تتفاخر بثرواتها، بل تخبّئها كما يخبّئ العاشق رسائله في أدراج قديمة. اقتصادها المتين، القائم على السياحة، الصناعة، والخدمات، لا يصرخ بل يهمس. الشوارع المليئة بالمحلات والأسواق العتيقة، تعطيك انطباعاً بأن كل شيء ما زال يُصنع باليد، أو على الأقل، بالرغبة في الجمال.

وهناك، في سوق "هافيلسكا"، ستشتري أكثر من تذكار. ستشتري قطعة من الزمن، قطعة منك، أو ربما شيئًا كنت تفتقده دون أن تدري.

ليست براغ مدينة للحشود رغم كثرة زوارها. بل هي مدينة تعلّمك العزلة دون أن تشعرك بالوحدة. هي تتيح لك أن تضيع دون أن تخاف. في زواياها المختبئة، في الممرات التي لا تُفضي إلى مكان معروف، في المقاهي التي تشبه دفاتر يوميات قديمة، تدرك أنك لم تأتِ لزيارتها، بل لتجد جزءاً منك كان ينتظرك هناك.

مرآة الروح الضائعة

في براغ، كل شيء يُمكن أن يُقرأ: الجدران، الأرصفة، الضوء، الصمت، رائحة الخبز، صوت النهر... وكل ذلك يجعل منها قصيدة لا تنتهي، كتلك القصائد التي لا تبحث عن القافية بل عن أثر، عن رعشة، عن ذكرى لا تموت.

هي المدينة التي، كلما أردتَ مغادرتها، التفتت إليك بنصف ابتسامة وقالت "لن تنساني" وهي صادقة. لأنك، في عمقك، لم تكن تبحث عن مدينة، بل عن صوت داخليّ ضاع منك، ووجدته هناك.

براغ، رغم شعبيتها السياحية، ليست مدينة تزدهر بالحشود. بل هي مدينة للأفراد، للعشاق، للمُنهكين الذين يبحثون عن ذواتهم في زقاق ناءٍ أو نافذة تطل على شارع لا يعرفه أحد. في براغ، لا تُحاصر بالوحدة، بل تُعانقها. تسمح لك أن تضيع، لا لتفقد الطريق، بل لتجد المعنى.

ليست براغ مكاناً يُزار ثم يُنسى. إنها تجربة تعيش فيك حتى بعد مغادرتها. كأنها تقول لك "لن تنساني"، وتكون صادقة. لأنك، حين تعود من هناك، لا تحمل فقط صوراً أو تذكارات، بل نسخة جديدة منك، نضجت في هدوء الأزقة، وتهذّبت في صمت الحجر، وتطهّرت في مرآة المدينة التي لا تحكم... بل تعلّم.

مرآة لا تعكس شكلك فقط، بل توقك، ذاكرتك، ندمك، وأمنيتك الأعمق. إنها مدينة تُشبه الحلم حين يصبح حقيقيًا، تُشبه الشعر حين يُترجم إلى حجارة وسماء وجسر. من زار براغ، لم يكن سائحًا، بل كان حالمًا وجد صوته الضائع بين المآذن القوطية والظلال البوهيمية. ومن عاشها، لن يخرج منها كما دخلها.

> التاريخ في براغ ليس مؤرخاً فقط في المتاحف ولا معروضًا في القلاع، بل هو مادة يومية تتنفسها في الطرقات

براغ، ببساطة، ليست نقطة على الخريطة... بل لحظة في القلب. لحظة لا تنقضي.

في ختام الرحلة، لم أعد من براغ بجواز سفر ممهور فقط، بل بقلب أعاد ترتيب شعوره بالعالم. فهذه المدينة لا تُشبه السياحة، بل تُشبه الشعر. ولا تُشبه العالم، بل تُشبه الحلم حين يصبح متاحاً في يقظة نادرة. براغ، ببساطة، ليست مكاناً... بل حالة. حالة لا يمكن شرحها، بل فقط عيشها.

قلب أوروبا مدينة المئة برج

مدينة تتيح لك أن تضيع دون أن تخاف

مدينة اختارت أن تكون على مسافة من ضجيج العالم

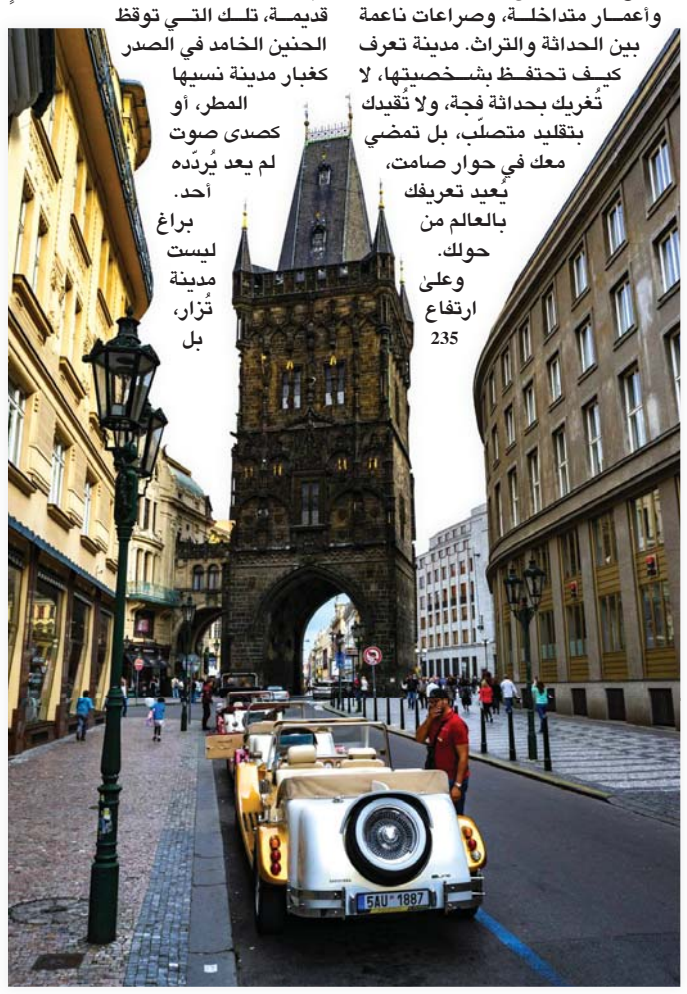

روح أوروبا الشرقية بكل ما فيها من دفء ومعاندة للبرد

العرب
الأحد 2025/08/03
السنة 48 العدد 13564

«اللقاء مع بول بوت».. ثلاثة صحافيين يكشفون أحلك جرائم الدكتاتورية

الفيلم يفتح الصفحة المشينة من التاريخ الكمبودي تحت سلطة الخمير الحمر

من وظائف السينما قدرتها على فتح أعيننا على خفايا التاريخ بشكل أعمق مما يفعله غيرها من فنون أو توثيق، من هنا كانت الأفلام وسائل لكشف الحقيقة وتقديمها بطرق مختلفة، ولكنها غاية في التأثير. من هذه الأعمال فيلم "اللقاء مع بول بوت" الذي يكشف لنا أجزاء مريعة من تاريخ كمبوديا.

علي المسعود
كاتب عراقي

"اللقاء مع بول بوت" فيلم مستوحى من كتاب الصحافية إليزابيث بيكر التي تعمل في صحيفة "واشنطن بوست" ويحمل عنوان "دموع كمبوديا – قصة الإبادة الجماعية الذاتية" (1986)، وتروي فيه تجربتها في رحلة إلى ما كان يسمى آنذاك "كمبوتشيا الديمقراطية"، برفقة غربيين آخرين، جيمس ألكسندر مالكولم كالدويل، أكاديمي أسكتلندي وكاتب ماركسي معروف باسم "صديق النظام"، وريتشارد بيبي دودمان، مراسل سانت لويس بوست ديسباتش. وتمكنت بيكر رفقة كالدويل ودودمان من مقابلة بول بوت. كانت هذه أول مقابلة أجراها مع صحافيين أميركان.

بين الأرشيف والخيال

يبدأ فيلم "اللقاء مع بول بوت" في عام 1978، أي بعد 3 سنوات من التغير في كمبوديا الديمقراطية التي أصبحت كمبوتشيا. في تلك البيئة التي مزقها النظام الدكتاتوري يقبل ثلاثة فرنسيين دعوة من رأس النظام على أمل الحصول على مقابلة حصرية مع الرئيس الكمبودي بول بوت وهم: آلان كاريو المفكر الماركسي (غريجوار كولين)، والصحافية ليز ديلبو (الممثلة الفرنسية إيرين جاكوب)، وهي صحفية مطلعة على شؤون كمبوديا، والمصور الحربي بول توماس (سيريل جوي).

الفيلم بأسلوب وثائقي يكشف للعالم خفايا كثيرة من مأساة استمرت أربع سنوات وقضت على خُمس سكان كمبوديا

يزور الصحافيون هذا البلد المغلق أمام العالم منذ أن استولى عليه الخمير الحمر، ووعدوا بلقاء الأخ رقم 1 (بول بوت). تجول الثلاثي لأول مرة في جميع أنحاء البلاد لمدة أسبوعين، وأجبروا على زيارة قرى بوتيمكين الحقيقية: "كنا في فقاعة انزلقت أمام الناس والأماكن، والتي لا يمكن أن تنفجر إلا من خلال محاولة الهروب من عنف سلطة الحزب،" كتبت الصحافية هذا الانطباع. عقد الاجتماع مع بول بوت في اليوم الأخير وبالتحديد في يوم الجمعة 22 ديسمبر من عام 1978. في الليلة التالية قتل كالدويل في ظروف غامضة، وبعدها عاد الناجيان مع نعش البريطاني إلى بكين.

عمل المخرج الكمبودي – الفرنسي ريثي بانه العديد من التغيرات في قصة الصحافية إليزابيث بيكر. أصبح ضيوف النظام الثلاثة الفرنسيين بهويات أخرى، ليز ديلبو (صحافية متمرسة ومشاكسة للغاية، ذات وجه قلق وقاس)، ومصور لا يتردد في المخاطرة المتهورة (بول توماس) ومقاتل شيوعي (آلان كاريو) كان يعرف العديد من قياديي الخمير الحمر عندما كانوا على مقاعد الدراسة في جامعة السوربون، وكان يعتبر "صديقا للنظام" الذي سيتم إطلاق النار عليه أيضا (تماما مثل جيمس ألكسندر مالكولم كالدويل)، سيكتشف الفرنسيون الثلاثة أثناء إقامتهم حقيقة مختلفة تماما عن تلك التي تخيلوها؛ حيث تتم مراقبتهم باستمرار، فمن المستحيل عليهم تصوير أي شخص وإجراء مقابلات معه. والأسوأ من ذلك أنهم سيكتشفون شعبا جائعا يعيش في يوتوبيا وأكاذيب.

المشهد الافتتاحي للفيلم يكشف عن المأساة القادمة، حين توضع ثلاث شخصيات على مدرج المطار المحترق والمفقود في وسط اللامكان. ثلاثة شهود وضحايا محتملين في المستقبل لنظام بول بوت الاستبدادي. هناك مثقف ماركسي بابتسامة سعيدة، استحوذ عليه مسبقا البرنامج السياسي لرفيقه السابق في جامعة السوربون. مصور قلق، يدقق في هذا الأفق الهادئ الزائف خارج الشاشة لواقع سيكتشفه في النهاية. وأخيرا صحافية من الإذاعة الفرنسية على معرفة جيدة بالبلاد تحاول بين الموضوعية والوضوح إنتاج تقرير على الرغم من اللغة الخشنة لمحاوريها.

توضح الشخصيات الرئيسية الثلاث ثلاث وجهات نظر مختلفة: بول (سيريل جوي)، المصور الذي يريد إبراز الحقيقة، آلان (جريجوار كولين)، المثقف الشيوعي، صديق بول بوت، الذي يرفض تصديق أن صديقه سيكون دكتاتورا ومسؤولا عن مثل هذه الجرائم الوحشية، وليز (إيرين جاكوب) براغماتية وقوية متجذرة بعمق في الواقع.

لا ينسى المخرج ريثي بانه أنه صنع لنفسه اسما في السينما من خلال أنشطته كمخرج أفلام وثائقية. علاوة على ذلك يمزج التسلسل الافتتاحي لفيلمه الروائي الطويل بين الصور الأرشيفية التي تظهر كمبوديا التي ترى من السماء وإعادة بناء الأشخاص الثلاثة الذين جاءوا لتغطية البلاد. وفضلا عن ذلك، فإن القصة بأكملها لن تتوقف أبدا عن تبديل الصور الأرشيفية مع التدريج الخيالي، وتكشف تدريجيا عن الجانب الخلفي لنظام لا يرحم، مصمم على إخفاق كل أولئك الذين مثلوا في عيون بول بوت.

فيلم "اللقاء مع بول بوت" قصة تكاد تكون بدائية تسعى إلى الكشف عن الآليات الشيطانية للاستبداد، تحت ستار الخطب الدعائية والشعارات أو المشاهد التي تم تنظيمها بذكاء لإظهار الولاء للنظام. ينزل "الضيوف" الثلاثة على مدرج كامبونغ تشنانج (بالقرب من قرية براتلانج، على بعد حوالي 60 كيلومترا شمال غرب العاصمة)، وهو مطار يستخدم من قبل الخمير الحمر. وهي الآن مساحة ضخمة مهجورة بها مدرجان ضخمان يبلغ طول كل منهما 2400 متر، تحدها خنادق وبرج مراقبة ومبان إدارية وسجون سابقة. لا شيء يمكن أن يشير بشكل أفضل إلى الفراغ والغياب والتجاوزات والجنون القاتل للخمير الحمر.

تمجيد النظام

ينتظر الفرنسيون الثلاثة سيارة لنقلهم إلى مكان قريب (كما في الصورة المرئية التي يظهرها ملصق الفيلم). في وقت لاحق سنرى صفوفا من المزارعين يسيرون على هذه المسارات، حاملين الألواح المرسومة التي ترسم صورة لريف شاعري، أو بضع شاحنات محملة بجنود شباب متعصبين بشكل ساذج. هنا يدمج ثلاثة مستويات: الخيال مع الممثلين (الصحافيون الفرنسيون الذين لعبت دورهم إيرين جاكوب وجريجوار كولين وسيريل جوي)، والصور الوثائقية لكمبوديا ما قبل بول بوت والدمار الذي سببه نظامه في ما يسمى بكمبوتشيا الديمقراطية. والنتيجة متكررة إلى حد ما في ما يتعلق بفيلمه السينمائي السابق.

عاش مجتمع كمبوتشيا الجديد تحت شعارات زائفة في ظل النظام الجديد الذي لا يتسامح مع المعارضين، يصور الدكتاتور نفسه أمام بعض الصحافيين الساذجين بأنه المنقذ. يحاول المخرج في فيلمه "كمبوديا، 1978" ("لقاء مع بول بوت" عنوانه الأصلي) الذي أصدره عام 2024 التغلب على الصدمة وتضميد الجرح الذي سببته دكتاتورية الخمير الحمر.

ينظر إلى فيلم " اللقاء مع بول بوت" على أنه فيلم وثائقي يلقي الضوء للعالم حول مأساة استمرت أربع سنوات وقضت على ما يقرب من 20 في المئة من سكان كمبوديا. يرسم المخرج بانه خطابا تاريخيا وسياسيا واسع النطاق لن يترك أحدا غير مبال بالقضية. يتم إحياء الذاكرة، كما هو الحال مع جميع دول العالم التي شهد سكانها مجازر ومقابر جماعية بسبب وحشية النظام الدكتاتوري.

نخرج من الفيلم مرهقين من انحراف النظام الشيوعي الخميري ونشطين من الحاجة إلى الاستمرار في الحفاظ على ذكرى هؤلاء الملايين من الأشخاص الذين ذبحوا.

الفيلم من سيناريو بيير إيروان غيوم بالاشتراك مع المخرج ريثي بانه وهو صانع أفلام لفكرة واحدة، وهي صدمة الإبادة الجماعية الكمبودية على أيدي الخمير الحمر، ويعود إليها مرارا وتكرارا، ويقصر المسافات ويغير الأشكال، من الفيلم الوثائقي إلى المقال أو الفيديو، من خلال الرسوم المتحركة، والآن، الخيال التقليدي الذي يعيد إنشاءه، يخبرنا أن مهمة الصحافيين هي الالتزام بالحقيقة التي يريد النظام إخفاءها عنهم، والتي يقدمها المخرج كصورة مضادة مدعومة بالصور الأرشيفية.

يغمر المخرج فيلمه بمشاهد تؤرخ أحلك فترة في التاريخ الكمبودي. كانت البلاد تحت نير بول بوت، الزعيم الشيوعي لكمبوديا والخمير الحمر. بالنسبة إلى أولئك الذين شاهدوا أفلام ريثي بانه السابقة، والذين يعرفون التزامه بذكرى بلده وعائلته، فإن هذا الفيلم الأخير لن يجلب الكثير من الجديد. بالنسبة إلى الآخرين، ستكون فرصة للانغماس مرة أخرى في هذه الصفحة المشينة من التاريخ الكمبودي في سبعينات القرن الماضي، وإظهار الواقع الذي كان يعاني منه شعبها، الذي كان النظام يخبئه من خلال خلق نوع من المثل الاجتماعية المصطنعة الذي نقلها جيدا بعض المثقفين المؤدلجين، مقتنعين بأن النموذج الاجتماعي والاقتصادي الأمثل لصين ماوتسي والبلدان الشيوعية الأخرى في ذلك الوقت كان الإجهاز على الرأسمالية المتفشية والمجتمع الاستهلاكي.

تمت دعوة الصحافيين الثلاثة إلى كمبوديا لتغطية صحفية غرضها تمجيد النظام. لكل منهم دوافعه الخاصة. يجدون أنفسهم في مواجهة الواقع، أو بمعنى أوضح، مع الواقع الذي يرغب القادة في تقديمه. الشيء الوحيد الذي يجب قوله هو أن هذا الفيلم يجب رؤيته في الوقت الحالي لأنه فيلم سياسي عن تجاوزات الأيديولوجيا، وفيلم تاريخي مستوحى بحرية من مرحلة تاريخية مهمة في زمن الحرب الباردة. وفي الحقيقة، في وقت شرور الخمير الحمر نجا المخرج الكمبودي ريثي بانه نفسه من معسكرات الموت الرهيبة لهم عندما كان يبلغ من العمر 15 عاما فقط.

واحدة من أعظم نقاط القوة في الفيلم هي التصوير المنمق لعنف الدولة في كمبوديا، مع مزيج من اللقطات الأرشيفية بالأبيض والأسود والتماثيل الخشبية الصغيرة. طوال الفيلم يؤكد ريثي بانه على الفجوة بين رسالة الخمير الحمر الديمقراطية والواقع. بينما يبشر القائد بول بوت بالتواضع والجهد الجماعي، لكنه يعيش في قصر فاخر، ويقتل أي شخص ينتقد نظامه أو يختلف ولو قليلا مع النظام.

سرعان ما يدرك الفرنسيون الثلاثة أنهم محصورون في رحلة منظمة تماما ومحددة من أجل تمجيد النظام والدعاية له، وتبعدهم تماما عن حقيقة الإبادة الجماعية الجارية والبؤس الذي يموت فيه السكان الذين ما زالوا على قيد الحياة. يبدأ توتر لا يطاق بسرعة كبيرة، ويعرف المخرج كيف يجعلنا نشعر برعب هذا التطرف السياسي.

التغيرات أو الحقائق

عمل المخرج على إحداث مجموعة تغييرات على كتاب الأميركية إليزابيث بيكر، على سبيل المثال: في فيلم " لقاء مع بول بوت" تم استبدال الأميركيين والمثقف الماركسي البريطاني بثلاثة فرنسيين. صحفيان يسعيان لمعرفة ما يجري خلف النظام، خلف الواجهة التي تعرض عليهما. ومثقف شيوعي، متعاطف مع نظام الخمير، صديق بول بوت شخصيا، يسعى إلى إخفاء وجهه ورؤية الشخص الذي يجعله مثاليا.

قد تبدو صورة الأبطال الثلاثة كاريكاتيرية. لم تذكر الصحافية بيكر في أي وقت من الأوقات، على عكس ما هو مطروح في الفيلم، عبادة شخصية بول بوت، حيث لا توجد صور لبول بوت أو غيره من القادة، ولا صور لماركس أو لينين أو ستالين. يبدو أن بول بوت لديه الإرادة للبقاء في الظل من أجل ممارسة قدرته المطلقة بشكل أفضل.

لم يتعلم العديد من الكمبوديين اسمه إلا بعد يناير 1979. علاوة على ذلك، فإن كالدويل، على الرغم من سخريته، لم يكن ليختلف أبدا مع بول بوت: وفقا لإليزابيث بيكر، فقد عاد سعيدا بلقائه مع الدكتاتور –في حين نراه في فيلم ريثي بعد لقائه بول بوت يفقد أوهامه الأخيرة حول الطبيعة الحقيقية للنظام. يقول المخرج "دعونا نظل واضحين، ودعونا لا ننخدع بقوة الكلمات، القادرة على قيادة حتى الأشخاص الشرفاء لقبول قبضة أسوأ الشموليات."

في النهاية أطيح ببول بوت من السلطة في عام 1979 عندما غزا الجيش الفيتنامي كمبوديا. جاء هذا الغزو نتيجة للهجمات التي أمر بها الزعيم الكمبودي ضد السكان الفيتناميين الذين يعيشون على الحدود الفيتنامية مع كمبوديا. قاد بول بوت مقاومة ضد فيتنام حتى عام 1985، عندما تخلى عن قيادة الخمير الحمر، لكنه ظل تابعًا للحزب. عاش بول بوت في عزلة داخل كمبوديا حتى وفاته في عام 1997، اتُهم بقتل زوجته وجميع أفراد أسرته لأنه يعتقد أنها كانت تتفاوض على اتفاق سلام مع الحكومة الكمبودية. حكم عليه بالسجن المؤبد من قبل أعضاء من الخمير الحمر. توفي الطاغية السابق في 15 أبريل 1998، بعد معاناته من نوبة قلبية. تم حرق جثة بول بوت، لذلك أصبح من المستحيل استخراج جثة لإثبات أسباب وفاته. قادة الخمير الحمر، المسؤولون عن ارتكاب جرائم ضد الإنسانية بين عامي 1975 و1979، حوكموا من قبل الأمم المتحدة، بناء على طلب الحكومة الكمبودية الجديدة، وحكم عليهم بالسجن مدى الحياة.

على الرغم من الفظائع المذكورة، فإن الفيلم يستغرق أيضا الوقت الكافي لإظهار جمال المناظر الطبيعية. يأخذنا المصور السينمائي أيمريك بيلارسكي، بمساعدة السيناريو، في جولة بصرية في كمبوديا عام 1978. من السهل على الغربيين وضع افتراضات حول هذا الجزء من العالم، دون تقدير شعبه وعظمته. وعلى الرغم من أن بعض الأشياء الرهيبة تحدث وسط هذه الآفاق، إلا أن القصة لا تتوقف فقط على كشف اللغز، ولكن أيضا على أهمية حياة البشر في مواجهة الخطوط التي يتم تجاوزها كل دقيقة.

في الختام ينظر إلى "اللقاء مع بول بوت" على أنه فيلم وثائقي يلقي الضوء على مأساة استمرت أربع سنوات وقضت على ما يقرب من خمس سكان كمبوديا. في ظل هذا النظام الشمولي كانت البلاد معزولة عن العالم، وتم تداول القليل من المعلومات، ولم تسمح الحكومة إلا لعدد قليل من الصحافيين والسياسيين بزيارة البلاد. وسيطر الحزب الشيوعي على كمبوديا لمدة أربع سنوات وارتكب إبادة جماعية عرقية ودينية وسياسية.

يذكرنا المخرج بجنون الخمير الحمر، وهذا ينطبق أيضا علينا نحن المعاصرين، الذين دائما ما تهددنا الأيديولوجيات القاتلة والتلاعب بالحقائق. في عصرهم كان الخمير الحمر بالنسبة إلى العديد من المثقفين في العالم الغربي أبطالا في النضال ضد "الإمبريالية" (أي الولايات المتحدة) ويحتفلون بهم كمحررين للجماهير الشعبية المستغلة.

فيلم سياسي عن تجاوزات الأيديولوجيا

مشاهد تؤرخ لأحلك فترة في التاريخ الكمبودي

الفيلم نخرج منه مرهقين من انحراف النظام الشيوعي الخميري ونشطين منادين بالاستمرار في الحفاظ على ذكرى الضحايا

الاتحاد الأوروبي يُحضّر لجيل رقمي آمن

معركة صارمة لحماية الأطفال على الإنترنت

يناقش الاتحاد الأوروبي وضع ضوابط صارمة لحماية الأطفال على الإنترنت، تشمل التحقق من العمر وحظر الوصول إلى وسائل التواصل الاجتماعي، وفي الوقت الذي تجرى فيه تجارب تقنية بعدة دول، تتباين المواقف بين الحظر الكامل والرقابة الذكية، وتتصاعد الدعوات لتوفير طفولة رقمية آمنة دون انتهاك حقوق الأطفال الأساسية.

طفولة بلا مخاطر

بروكسل - وسط تنامي الاهتمام بالمخاطر التي يتعرض لها الأطفال على الإنترنت في أنحاء أوروبا، يكثف صانعو السياسات جهودهم لوضع قواعد أكثر صرامة من أجل التحقق من أعمار المستخدمين، وحماية الأطفال على الإنترنت.

ومن المبادئ التوجيهية على مستوى الاتحاد الأوروبي إلى البرامج التي تجربها كل دولة لتكنولوجيا التحقق من الأعمار، تتسارع وتيرة الجدل حول كيفية مواصلة ذلك، وإلى أيّ مدى.

وأكثر المقترحات بعيدة المدى، والذي دفعت به عدة دول أعضاء – بينها فرنسا وإسبانيا – هو حظر وصول الأطفال دون سن معينة إلى وسائل التواصل الاجتماعي، بشكل تام.

ويقول المؤيدون إن من الضروري حماية الأطفال دون 15 و16 عاما – في حالة إسبانيا – من الآثار الضارة لوسائل التواصل الاجتماعي. كما يشيرون إلى دراسات تربط وسائل التواصل الاجتماعي بالقلق والاكتئاب وتدني احترام الذات، ناهيك عن التنمر، والمتحرشين، عبر الإنترنت.

وتحدد معظم منصات التواصل الاجتماعي، مثل فيسبوك، وتيك توك، وإنستغرام، الحد الأدنى لسن إنشاء حساب عليها بـ13 عاما. ولكن من السهل على الأطفال الأصغر سنا، تجاوز هذه القاعدة بالكذب بشأن أعمارهم، ويفعل الكثيرون ذلك.

ومع ذلك، أوضح متحدث باسم المفوضية الأوروبية مؤخرا أنه لا توجد نية لفرض حظر على مستوى الاتحاد الأوروبي، ولكنه ترك الباب مفتوحا أمام الحكومات الوطنية لسن تشريعاتها الخاصة حال رغبت في ذلك.

التحقق من العمر

ولا يعني هذا أن الاتحاد الأوروبي يقف مكتوف الأيدي. وأعلنت المفوضية الأوروبية في وقت سابق الشهر الماضي أنها تختبر نموذجا أوليا لتطبيق فكرة التحقق من العمر، وسوف يتم طرحه بشكل مبدئي في الدنمارك وفرنسا وإسبانيا واليونان وإيطاليا.

ومن المفترض أن يتيح التحقق إمكانية التأكد من عمر المستخدم، بشكل مجهول، دون تخزين بيانات شخصية، مثل الاسم أو تاريخ الميلاد.

وتتمثل الخطة بعيدة المدى في دمج هذه التكنولوجيا في بطاقة الهوية الرقمية للاتحاد الأوروبي، وهي نوع من دليل الهوية الرسمي عبر الإنترنت، وسوف يكون متاحا اعتبارا من نهاية عام 2026.

كما تبحث رومانيا تشديد إجراءات التحقق من العمر، ووصول الأطفال إلى وسائل التواصل الاجتماعي.

وتناقش بوخارست في الوقت الحالي مشروع قانون يهدف إلى حماية القصر من المحتوى الضار على المنصات الإلكترونية الضخمة (VLOPs) مواقع أو تطبيقات توفر خدمات أو محتوى على نطاق واسع، وغالبا ما تتميز بتأثيرها الكبير على المجتمع والاقتصاد، وهي منصات أو محركات بحث تضم أكثر من 45 مليون مستخدم شهريا.

وسوف يقضي التشريع المقترح بأن تنفذ المنصات إجراءات صارمة للتحقق من العمر، وتمكين الرقابة الأبوية، وإصدار تقارير نشاط شهرية للأوصياء على الصغار، والاستجابة السريعة لتنبيهات السلطات بشأن المحتوى الضار.

> المفوضية الأوروبية تختبر نموذجا أوليا لتطبيق فكرة التحقق من العمر، وسوف يتم طرحه بشكل مبدئي في العديد من الدول

ويستهدف التشريع المواد التي تحرّض على العنف، وتثير اضطرابات الطعام أو إيذاء النفس، وتعرض القصر للعري أو السلوك غير القانوني. كما سيتم حظر تحقيق المنصات أرباحا مالية من المحتوى المباشر الذي يظهر القصر دون موافقتهم.

ومن شأن عدم الامتثال أن يؤدي إلى فرض غرامات تصل إلى 3 في المئة من إجمالي المبيعات العالمية لشركة ما. ومن المقرّر صدور تقرير برلماني في هذا الشأن يوم 3 سبتمبر.

وفي فرنسا، جرى اتخاذ إجراءات صارمة ضد القصر الذين يصلون إلى المواد الإباحية. وقضت المحكمة الإدارية العليا في البلاد مؤخرا بأن تطبق المواقع الإباحية الكبرى مثل بورن هب، ويو بورن، نظام التحقق من العمر لمنع وصول القصر إليها، وهو قرار ألغى تعليقا سابقا لهذه الخطوة.

ومارست الحكومة الفرنسية ضغوطا من أجل تطبيق القانون الذي صدر في عام 2024، وتستشهد بأرقام تظهر أن أكثر من نصف الصبيان في الـ12 من العمر يزورون هذه المواقع شهريا.

وتقول المنصّات إن هذه القواعد تنتهك قانون الاتحاد الأوروبي وتثير مخاوف تتعلق بالخصوصية، وتقترح أن تتولى شركات التكنولوجيا أبل وغوغل، عملية التحقق. وعوضا عن ذلك، تدعم هيئة الرقابة الفرنسية نظاما "مزدوج التعمية" تابعا لجهة خارجية لحماية هوية المستخدمين.

وتعهدت الدنمارك، التي تولت الرئاسة الدورية للاتحاد الأوروبي مطلع يوليو الماضي لمدة 6 شهور، بإعطاء أولوية لحماية الأطفال على الإنترنت خلال فترة ولايتها.

وقالت وزيرة الشؤون الرقمية الدنماركية كارولين ستيج أولسن "من الصعب تخيل عالم يمكن فيه للأطفال دخول متجر لشراء المواد الكحولية، أو الذهاب إلى ملهى ليلي بمجرد القول إنهم بلغوا السن القانونية، دون حراسة، ودون فحص الهوية، فقط بمجرد قول: نعم، تجاوزت 18 عاما".

وأضافت أولسن "يستحق الصغار طفولة رقمية آمنة. هذه إحدى الأولويات الرئيسية بالنسبة إليّ خلال الرئاسة الدنماركية (للاتحاد الأوروبي). ودون التحقق من العمر بشكل صحيح، لن نتمكن من حماية الأطفال على الإنترنت."

كما نشر الاتحاد الأوروبي توصيات، بمقتضى "قانون الخدمات الرقمية" للمنصات الإلكترونية لضمان سلامة الأطفال ومنع تعرضهم لسلوكيات خطيرة.

وتشمل هذه التوصيات إزالة السمات "المسببة للإدمان"، مثل "إيصالات القراءة" التي تبلغ المستخدم عندما يرى شخص ما رسالته، ما يسهّل على القصر حظر، أو إسكات، صوت المستخدمين ومنع الحسابات من تنزيل أو التقاط لقطات شاشة للمحتوى.

كما أوصى الاتحاد الأوروبي المنصات بإيقاف تشغيل الإشعارات بشكل افتراضي، وبصفة خاصة خلال ساعات النوم، إضافة إلى الحد من وصول التطبيقات إلى الصور أو إيقاف تشغيل الكاميرا بشكل افتراضي.

وثمة عنصر آخر، هو التحرش عبر الإنترنت: حيث يتعين على المنصات توصيف حسابات القصر على أنها خاصة بشكل افتراضي، أي غير مرئية للمستخدمين الذين ليسوا في قائمة أصدقائهم، بهدف تقليص مخاطر اتصال الغرباء بالصغار.

ومع ذلك، يشير بعض القادة الوطنيين إلى الحاجة للمزيد من الإجراءات الملزمة. ووصفت وزيرة الرقمنة في بلجيكا فانيسا ماتز المبادئ التوجيهية بأنها خطوة في الاتجاه الصحيح، لكنها أعربت عن اعتقادها أنه يجب على الاتحاد الأوروبي الذهاب إلى أبعد من ذلك.

وقالت ماتز "لا تفرض المبادئ التوجيهية التحقق الصارم من العمر إلا على المنصات التي تقدم محتوى يتعلق بالكحوليات، أو المقامرة أو المواد الإباحية. أما بالنسبة إلى المنصات الأخرى – حتى تلك التي تحدد الحد الأدنى للسن بـ13 أو 16 عاما – تقتصر المفوضية على التوصية بالتحقق من العمر، دون أن يكون ذلك ملزما."

وأضافت "ورغم ذلك، تفتح المفوضية الباب أمام التحقق من العمر الحقيقي على وسائل التواصل الاجتماعي من خلال التشريعات الوطنية.. أشجع بلجيكا على اغتنام هذه الفرصة. سيشكل هذا الإطار أساس النقاش البرلماني بعد الصيف، لتطوير تشريعات موجهة للتحديات الرقمية."

قوانين صارمة

وترى "يورو تشايلد"، وهي شبكة من المنظمات التي تعمل بهدف تعزيز حقوق الأطفال في أنحاء أوروبا، أن التحقق من العمر لا يجب أن يتمثل في منع الأطفال من استخدام وسائل التواصل الاجتماعي، بل في تحديد متى يستخدم الطفل منصة ما، وتكييف الحماية له بحسب احتياجاته، واستخدامها كجزء من مجموعة أدوات أوسع لحماية الأطفال على الإنترنت.

وقبل الإعلان عن أحدث المبادئ التوجيهية من الاتحاد الأوروبي، قالت فابيولا باس بالواريس، مسؤولة السياسة والدعوة الرئيسية للسلامة عبر الإنترنت في "يورو تشايلد"، الشهر الماضي "لذلك، بشكل عام، بالنسبة إلينا، لا يجدي الحظر نفعا.. بشكل عام من الناحية العملية لأن تكنولوجيا التحقق من العمر، ليست متوفرة بعد، ولكنها كذلك تتعارض مع حقوق الأطفال بشكل عام."

وأضافت بالواريس "في الوقت الحالي، يركز النقاش بشكل كبير على مسألة الأمان، وجاء هذا الحظر من مكان يشعر فيه صانعو السياسات ببعض الضجر من عدم امتثال المنصات الإلكترونية وعدم توفيرها للأمان الذي يفترض أن تقدمه بموجب القانون".

وأوضحت أن للأطفال الحق في الوصول إلى المعلومات وفي اللعب، وأن التركيز يجب أن ينصبّ على تحديد الأضرار التي يواجهها الأطفال على الإنترنت، ومعالجتها، من خلال دفع المنصات إلى الامتثال لقانون خدمات الرقمية، بدلا من فرض حظر تام.

الهواتف في المدارس

وتستهدف عدة دول في الاتحاد الأوروبي أيضا استخدام الأطفال أجهزة الهاتف المحمول في المدارس.

وفي بداية شهر يوليو الماضي، أقرت الجمعية الوطنية في سلوفينيا (البرلمان) تعديلات على قانون المدارس الابتدائية من شأنه تقييد استخدام الأجهزة الإلكترونية أثناء وقت التدريس في المدارس. ولا يسمح باستخدام الأجهزة المحمولة إلا عندما يكون ذلك ضروريا، من الناحية التعليمية.

وجاءت الموافقة على التعديلات، دون أيّ تصويت معارض. وتشمل هذه التعديلات إدخال تكنولوجيا المعلومات كمادة إلزامية.

وتهدف مادة تكنولوجيا المعلومات والتكنولوجيات الرقمية الإلزامية الجديدة لطلاب الصف السابع، إلى توفير المعرفة الرقمية الأساسية. ومدة الدراسة في المدارس الابتدائية بسلوفينيا تسع سنوات.

وفي بلغاريا، تمارس وزارة التعليم ضغوطا من أجل حظر الهواتف المحمولة في المدارس بشكل تام، مشيرة إلى تأثيرها على التعلم ومدى الانتباه والتطور المعرفي والعاطفي للأطفال. ولا يزال التشريع المقترح، الذي يسمح باستخدام هذه الأجهزة للأغراض التعليمية أو الصحية فقط، ينتظر موافقة البرلمان.

وفي حين تجرّب الدول الأوروبية أساليب مختلفة، هناك أمر واحد واضح، هو: تسارع وتيرة حماية الأطفال على الإنترنت، وقد تؤدي نتائجه إلى إعادة تشكيل الطفولة الرقمية في أنحاء القارة

التحقق من صحة المعلومات: لا غرامة على الأطفال دون 14 عاما لاستخدامهم الهاتف المحمول.

ذكر مقطع فيديو باللغة الألمانية، على تطبيق "تيك توك"، أنه سوف يتم حظر الهواتف الذكية، بموجب القانون، لجميع الأطفال دون 14 عاما، اعتبارا من أبريل 2025، وأنه سوف يتم فرض غرامة بقيمة 500 يورو حال ضبط أحدهم يستخدم الهاتف في الأماكن العامة أو في المدرسة.

ولكن وزارة العدل الألمانية أكدت آنذاك أنه لا وجود لمثل هذا القانون، وأنه لا يمكن تغريم الأطفال دون 14 عاما في البلاد، في أيّ حال من الأحوال.

الكمومية نظرية غير مفهومة لكنها تغيّر العالم

باريس - لا يزال تفسير النظرية الكمومية التي أحدثت تطبيقاتها ثورة في حياة البشر لكن ما تصفه يبقى غامضا، يثير انقسام علماء الفيزياء بعد مئة عام من وضعها، بحسب دراسة نشرتها مجلة "نيتشر" الأربعاء.

توضح عبارة "اصمت واحسب!" الشهيرة في النظرية الكمومية، وهو مجال حاز عددا كبيرا من جوائز نوبل، التناقض الذي يواجهه هؤلاء الباحثون.

تصف المعادلات التي يستخدمونها بدقة فائقة سلوك الأجسام في الصغر المتناهي. ومع ذلك، ليست الظواهر الفيزيائية الكامنة وراء هذه الرياضيات مفهومة بشكل كامل.

بدأ كل شيء في مطلع القرن العشرين، عندما لاحظ العلماء أن المبادئ الكلاسيكية للفيزياء لا تنطبق على المستوى الذري.

تتفاعل الفوتونات والإلكترونات كجسيمات وموجات، ويمكن أن يكون لها مواقع أو سرعات أو مستويات طاقة متعددة في آن.

في العام 1925، ابتكر النمساوي إروين شرودنغر والألماني فيرنر هايزنبرغ مجموعة من الأدوات الرياضية المعقدة التي تصف نظاما كموميا وتطوّره باستخدام الاحتمالات. تُمكّن هذه "الدالة الموجية" من التنبؤ بنتائج القياسات التي تُجرى على جسيم.

تزخر حياتنا اليومية بالاختراعات القائمة على هذه الحسابات، كالليزر، ومصابيح الليد، والترانزستورات في هواتفنا المحمولة. لكن ماذا يحدث فعلا في العالم اللامتناهي الصغر؟

تفسيرات متضاربة

بينما يجتمع أبرز علماء الفيزياء في جزيرة هيليغولاند (ألمانيا)، حيث كتب هايزنبرغ معادلاته التأسيسية قبل مئة عام، طرحت مجلة "نيتشر" هذا السؤال على 1100 متخصص في الجسيمات.

وفي نهاية هذا الاستطلاع الواسع، لاحظت المجلة "غيابا ملحوظا للإجماع" حول ما تقوله النظرية الكمومية "حقا عن الواقع".

وأيّد ثلث (36 في المئة) علماء الفيزياء الذين شملهم الاستطلاع "تفسير كوبنهاغن"، وهو الرأي السائد.

في العالم الكلاسيكي، لكل جسم خصائص (السرعة، الموقع...) بقيم محددة جيدا، سواء أكنا نلاحظها أم لا. يختلف ذلك في العالم الكمومي، بحسب هذا المفهوم الذي وضعه هايزنبرغ والدنماركي نيلز بور في عشرينات القرن الماضي.

لا يحدث ذلك إلا عندما يتفاعل المراقب مع هذا الجسم ليقيسه، فـ"يختار" الجسم حالة محددة من بين مختلف الحالات الممكنة التي تصفها دالة الموجة. ويقال إن دالة الموجة "تنهار".

يقول ديسيو كراوس من الجامعة الفيدرالية في ريو دي جانيرو، في الاستطلاع الذي أجرته مجلة "نيتشر"، هذا هو "أبسط تفسير لدينا"، ويضيف أن البدائل تطرح "مشاكل أخرى، هي أسوأ برأيي".

> لاحظت المجلة «غيابا ملحوظا للإجماع» في استطلاع لعلماء الفيزياء حول ما تقوله النظرية الكمومية «حقا عن الواقع»

مع ذلك، يدعم عدد كبير من الباحثين مقاربات أخرى. على سبيل المثال، نهج العوالم المتعددة (15 في المئة) الذي يشير إلى أنّ دالة الموجة لا تنهار، بل تتفرع إلى أكوان بعدد من النتائج المحتملة.

عندما يُجري الراصد قياسا، يحصل على نتيجة في عالم معين، ما يفترض وجود أكوان متوازية لا يمكنها التواصل مع بعضها البعض.

يقول شون كارول من جامعة "جونز هوبكنز" في الاستطلاع "إنّ ذلك يتطلّب تعديلا جذريا في حدسنا تجاه العالم، ولكن بالنسبة إليّ، هذا بالضبط ما ينبغي توقّعه من نظرية أساسية للواقع".

هل هناك حدود فاصلة بين العالم الكمومي والعالم العياني، حيث تتغير قوانين الفيزياء فجأة؟ تنقسم الأوساط العلمية أيضا هنا، إذ أجاب 45 في المئة من الفيزيائيين الذين شملهم الاستطلاع بـ"نعم" فيما أجاب العدد نفسه بـ"لا".

في النهاية، أعرب 24 في المئة منهم فقط عن ثقتهم بأن التفسير الذي يفضلونه هو التفسير الصحيح. و75 في المئة يعتقدون أن النظرية ستُستبدل يوما ما بأخرى أكثر شمولا.

وسيواصل الآلاف من الباحثين الذين يعملون على الحواسيب الكمومية أو التشفير الكمومي في مختلف أنحاء العالم، تطبيق شعار "اصمت واحسب".

العرب
الأحد 2025/08/03
السنة 48 العدد 13564

التوازن والقوة والمرونة ثالوث يساعد على التقدم في السن بشكل صحي

تمارين البلانك والقرفصاء والوقوف على ساق واحدة تقوي عضلات الجذع وتزيد مرونة العضلات

تمرين القرفصاء مثالي للياقة بدنية متميزة

يعد الوقوف على ساق واحدة تمرينا ممتازا يحافظ على توازن الشخص، بينما تعمل تمارين البلانك على شد العضلات وتقوية الجذع، ويعد تمرين القرفصاء مثاليا للياقة البدنية الوظيفية مع الحركات المركبة، وهو أمر ضروري لطول العمر. وينصح الخبراء بهذا الثالوث الذي يساعد على التقدم في العمر بشكل صحي. وترتبط هذه التمارين بزيادة مستويات النشاط البدني وتقليل مخاطر السقوط.

واشنطن - يشير خبراء اللياقة البدنية إلى أن التوازن والقوة والمرونة عوامل تساعد على التقدم في السن بشكل صحي، وتجنب الكبار حوادث السقوط الناتج عن تراجع الكتلة العضلية وهشاشة العظام.

وينصح الخبراء بتمرين الوقوف على ساق واحدة وتمرين القرفصاء وكذلك تمرين البلانك وهي تمارين تقوي الجذع وتزيد مرونة العضلات وتحفظ التوازن.

ويكتسب الوقوف على ساق واحدة شعبية كبيرة، وذلك لسبب وجيه، لأن القدرة على الوقوف على ساق واحدة طوال الوقت الذي يستغرقه ربط رباط الحذاء يعدّ تمرينا ممتازا، إذ يمكن للشخص رؤية التقدم وما إذا كان توازنه أقوى في جانب واحد من الآخر.

وإذا بدا ربط رباط الحذاء مرهقا، يمكنه أيضا محاولة الوقوف على ساق واحدة أثناء تنظيف أسنانه بالفرشاة، فالحوض موجود لدعمه عند الحاجة.

ويؤكد الخبراء أن الشخص إذا كان عمره أقل من 40 عاما، يجب أن يكون قادرا على الوقوف على ساق واحدة بشكل متواصل لمدة 43 ثانية.

وأظهرت الأبحاث أن قدرة الأشخاص على الوقوف على ساق واحدة مؤشر جيد للدلالة على الصحة الجيدة، كما أن التحسن في الوقوف على ساق واحدة يمكن أن يعزز من اللياقة البدنية والعمر الافتراضي.

وترتبط القدرة على الوقوف على ساق واحدة بزيادة مستويات النشاط البدني وتقليل مخاطر السقوط وبجودة الحياة وطولها، وفق ما جاء في الموقع الطبي "ميديكال إكسبريس".

ويشار إلى أن هناك نحو 37.3 مليون حالة سقوط سنويا في جميع أنحاء العالم شديدة بما يكفي لتتطلب رعاية طبية.

ويرتبط عدم القدرة على التوازن على ساق واحدة لمدة 20 ثانية أو أكثر في الأشخاص الأصحاء بزيادة خطر تلف الأوعية الدموية الصغيرة في الدماغ وانخفاض القدرة على فهم الأفكار.

ويمكن أن يؤدي الحمل وانقطاع الطمث والتقاعد أيضا إلى تغيير قوة الأشخاص وتوازنهم وقدرتنا على البقاء منتصبين، ويرجع ذلك في الغالب إلى الطريقة التي تؤثر بها هذه العوامل على قدرتهم ودوافعهم للانخراط في نشاط بدني منتظم.

ويوضح الباحثون أن الجلوس أو الاتكاء أثناء الاستيقاظ يرتبط بانخفاض قوة العضلات وخطر السقوط والوظيفة البدنية، أحيانا بغض النظر عن مقدار النشاط البدني المعتدل أو القوي الذي يمارسه الأشخاص.

وتعمل تمارين البلانك على شد العضلات وتقوية الجذع، وتعد تقوية عضلات الجذع أكثر أهمية من مجرد إعطاء مظهر جميل للجسم، فهي تساعد في الأنشطة اليومية، بما في ذلك رفع الأطفال، والأعمال المنزلية، وحمل البقالة، والبستنة، والتي تتطلب جميعها إشراك عضلات الجذع.

يعد تمرين البلانك مقياسا شائعا للياقة البدنية، وهو يفيد عضلات البطن أكثر من تمارين البطن التي لا تنتهي.

وتعد تقوية عضلات الجذع العميقة طريقة فعّالة للوقاية من آلام الظهر، التي يعاني منها واحد من كل 6 أشخاص في بريطانيا، وفق ما أكده الخبراء.

> القدرة على الوقوف على ساق واحدة ترتبط بزيادة مستويات النشاط البدني وتقليل مخاطر السقوط وبجودة الحياة وطولها

وينصح الخبراء بممارسة تمارين البلانك وذلك بوضع الساعدين على الأرض مباشرة تحت الكتفين، ورفع الجسم في خط مستقيم بحيث يكون وزن الشخص على أصابع قدميه وساعديه، والحفاظ على رأسه في خط مستقيم مع عموده الفقري. ويكمن جمال هذا التمرين في بساطته، بالإضافة إلى كيفية تشغيله لعضلات متعددة تدعم الجذع. يمكن أن يمنح هذا الاختبار فهما جيدا لقوة الجذع الحالية، ويمكن استخدامه لمتابعة تقدم الشخص مع مرور الوقت.

ويعد تمرين القرفصاء مثاليا للياقة البدنية الوظيفية مع الحركات المركبة، وهو أمر ضروري لطول العمر. وتعتمد اللياقة البدنية الوظيفية على تمارين تحاكي ما يقوم به الأشخاص كل يوم من دون أن يدركوا ذلك.

وتجمع تمارين القرفصاء بين العديد من مجموعات العضلات في آن واحد، فهي لا تساعد فقط على تقوية الجزء السفلي والجزء الأساسي من الجسم، بل تحسّن أيضا التوازن ووضعية الجسم، وهذا يمنع الإصابات.

كلما انحنى الشخص لالتقاط شيء ما، عليه تذكر هذه التقنية وتشغيل عضلاته الأساسية، وسيجد أن ظهره أقوى وأكثر حماية بفضل ذلك، خاصة إذا كان يقوم بالبستنة أو بالأعمال المنزلية.

ويمكن للشخص أن يباعد بين قدميه بعرض أكبر من عرض الوركين (مع توجيه أصابع القدمين للخارج كما في وضعية القرفصاء السومو)، ويمكنه أن يشغّل عضلاته الأساسية ويدفع الوركين للخلف، مع توجيه كل الوزن عبر الكعبين، مع إبقاء صدره مرفوعا وكتفيه للخلف. عند العودة إلى وضعية الوقوف، عليه رفع ذراعيه في وضعية ضغط الكتف.

وفي هذا الاختبار، يعتمد عدد التكرارات التي يمكن القيام بها على اللياقة البدنية العامة للشخص أكثر من العمر. يمكن لأي شخص من أي عمر العمل على تحسين قوته. للبدء، ينصح باستهداف من 10 إلى 12 تكرارا، و3 مجموعات.

والقرفصاء هي حركة جسدية تتطلب إشراك العديد من المفاصل والعضلات، كما يصنف كتمرين ديناميكي لتدريب القوة. ويتطلب القرفصاء عدة عضلات في الجزء العلوي والسفلي من الجسم للعمل معًا في وقت واحد، وقد تساعد إضافة هذه التمارين إلى التدريبات الخاصة بالشخص في تعزيز أدائه في التمرين، وتقليل خطر الإصابة، وتسهيل حركته طوال اليوم.

ويؤدي امتلاك عضلات أساسية قوية إلى جعل الحركات اليومية مثل الدوران والانحناء وحتى الوقوف أسهل.

ليس ذلك فحسب، بل يمكن للجذع القوي تحسين التوازن، وتخفيف الألم في أسفل الظهر، وكذلك تسهيل الحفاظ على وضعية جسم جيدة.

وعندما يقوي الشخص عضلات الجزء السفلي من الجسم، يكون أكثر قدرة على تنفيذ حركات الجسم بالكامل بالشكل الصحيح والتوازن والحركة والوضعية.

بالإضافة إلى ذلك، فإن دمج القرفصاء في روتين التمرين العام الخاص بالشخص يساعد أيضا في تقوية الأوتار والأربطة والعظام، والتي، وفقا للمجلس الأميركي للتمارين الرياضية، قد تساعد في تقليل خطر الإصابة.

وعادة ما يُساوى حرق السعرات الحرارية بتمارين الكارديو مثل الجري أو ركوب الدراجات.

لكن أداء حركات مركبة عالية الكثافة مثل القرفصاء يمكن أن يسحق أيضا بعض السعرات الحرارية الخطيرة.

الركض السريع تمرين فعّال لحرق الدهون بسرعة ودعم صحة القلب

كارولينا الجنوبية (الولايات المتحدة) - تتزايد الأبحاث التي تستكشف تأثير التمارين الرياضية القصيرة والمكثفة، مثل الركض السريع، مقارنة بالتدريبات التقليدية المطوّلة، كطرق فعالة لممارسة الرياضة دون استنزاف الوقت أو الجهد.

وأوضح الخبراء أن الركض السريع، حتى لو لم تتجاوز مدته بضع دقائق، يمكن أن يكون أكثر فاعلية من ساعات التدريب الشاق في صالة الألعاب الرياضية، وخاصة من ناحية تعزيز صحة القلب وزيادة اللياقة البدنية والوقاية من التدهور العقلي المرتبط بالتقدم في السن.

وتشير البروفيسورة كاتي هيرش، خبيرة علوم التمارين الرياضية في جامعة كارولينا الجنوبية، إلى أن الركض السريع يعد من أفضل الطرق لحماية القلب وتحفيز الجسم على التكيف. وتوضح أن هذا النوع من التمرين عالي الكثافة يتضمن جهدا مكثفا ضمن مدة قصيرة (تتراوح بين 15 ثانية ودقيقة)، تتخللها فترات تعاف نشط.

ورغم أن الركض السريع ليس وسيلة سحرية لإنقاص الوزن، إلا أن الدراسات تظهر أنه يساعد على حرق الدهون بشكل أكبر أثناء الراحة مقارنة بالتمارين المستمرة منخفضة الشدة، مثل الجري لمسافات طويلة أو المشي.

وقد ثبت أن الركض السريع، بوصفه أحد أشكال التدريب المتقطع عالي الكثافة (هيت)، يساهم في رفع الحد الأقصى لاستهلاك الأكسجين، وهو مقياس لقدرة الجسم على استخدام الأكسجين أثناء التمرين. وكلما ارتفع هذا المؤشر زادت كفاءة الجهاز القلبي التنفسي وانخفض خطر الإصابة بأمراض القلب.

ولا تقتصر الفوائد على القلب فقط؛ بل تشمل العضلات والعظام وحتى الدماغ.

وتوضح الدكتورة هيذر فينسنت، مديرة مركز الأداء الرياضي الصحي في جامعة فلوريدا، أن التقدم في العمر غالبا ما يترافق مع فقدان تدريجي لألياف العضلات من حيث الحجم والكثافة، ما يزيد من احتمالات الإصابة بآلام الظهر والكسور وعرق النسا.

> الركض السريع، حتى لو لم تتجاوز مدته بضع دقائق، يمكن أن يكون أكثر فاعلية من ساعات التدريب الشاق في صالة الألعاب الرياضية

لكن الركض السريع يساعد في الحفاظ على هذه الألياف المسؤولة عن القوة والسرعة، والتي لا تُستخدم عادة في الأنشطة اليومية. وهذا يعزز خفة الحركة ونطاقها بالتزامن مع التقدم في العمر.

كما يساهم الركض السريع، بحسب فينسنت، في تقوية العظام، خصوصا في مناطق مثل العمود الفقري والوركين، من خلال الضغط المتكرر الناتج عن انقباض العضلات وارتطام القدم بالأرض.

ومع ذلك تؤكد فينسنت أن الركض السريع لا يغني عن تمارين القوة، بل يكملها في دعم حجم العضلات وكثافتها. وتشاطرها هيرش الرأي قائلة "رفع الأوزان لا يزال أفضل وسيلة لبناء العضلات، لكن الركض السريع يوفر تحفيزا عضليا أفضل من التمارين الثابتة."

وينصح الخبيران ببدء البرنامج الرياضي تدريجيا، على أن تصل شدة الركض السريع في الأسابيع الأولى إلى نحو 70 أو 80 في المئة من أقصى جهد ممكن، حتى يتأقلم الجسم.

أما على صعيد الصحة العقلية فقد أظهرت دراسات حديثة أن الركض السريع قد يساهم في إبطاء التدهور المعرفي المرتبط بالتقدم في العمر، مثل مرض الزهايمر. وتشير فينسنت إلى أن "زيادة تدفق الدم الناتجة عن الركض السريع تعد أحد العوامل المهمة في دعم صحة الدماغ."

رياضة متكاملة

الرياضة تخفف متاعب متلازمة القولون العصبي

برلين - تساعد ممارسة الرياضة على تخفيف متاعب متلازمة القولون العصبي؛ حيث أنها تعمل على تقليل هرمونات التوتر مثل الكورتيزول والأدرينالين، وتفرز هرمونات السعادة في الوقت نفسه، وهو ما يساعد المصابين على التأقلم مع أعراضهم بشكل أفضل والشعور براحة أكبر بشكل عام، وفق ما قالته الرابطة المهنية لأطباء الباطنة في ألمانيا.

وأضافت الرابطة أن ممارسة الرياضة تُحسّن عملية الهضم بشكل عام؛ لأنها تُحفّز الدورة الدموية في الأمعاء وتُنظّم حركة الأمعاء وتُعزّز حركة البراز في حالات الإمساك، كما تساعد على إخراج الغازات بسهولة أكبر، وهو ما يسهم في مواجهة الشعور بالضغط والامتلاء.

وعن الرياضات المناسبة أوضحت الرابطة أنه ينبغي ممارسة الرياضات التي تُسبب أقل ضغط ممكن على المعدة والأمعاء مثل المشي لمسافات طويلة والركض الخفيف والسباحة، بالإضافة إلى اليوغا والبيلاتس.

ويتعين على مرضى متلازمة القولون العصبي تجنب الرياضات التي يتعرض فيها البطن لشد أو ضغط أو صدمات، مثل رفع الأثقال وكمال الأجسام وتمارين تقوية العضلات والرياضات القتالية وتمارين البطن الشديدة وتمارين القرفصاء الشديدة والجري السريع والتجديف وركوب الخيل والتنس والاسكواش.

وتحتاج متلازمة القولون العصبي التي تصيب الأمعاء الغليظة أو القولون إلى عناية طويلة المدى، باعتبارها حالة مزمنة. وتعد ممارسة الرياضة أحد الأساليب للتخفيف من أعراض القولون العصبي المزعجة.

وتسبب متلازمة القولون العصبي مجموعة من الأعراض المزعجة، مثل آلام البطن والانتفاخ والغازات والإمساك أو الإسهال أو كليهما، وخروج المخاط في البراز. وقد تستمر الأعراض لعدة أيام أو أسابيع أو أشهر.

ويمكن السيطرة على أعراض متلازمة القولون باتباع نمط حياة معين. وباعتبار أنه لا يوجد علاج نهائي للقولون العصبي، فإن ممارسة التمارين الرياضية بانتظام من أهم الطرق التي تقلل الأعراض؛ وذلك عبر تقليل التوتر أو الإجهاد، وتحسين حركة الأمعاء، وتقليل الانتفاخ.

وينصح بممارسة تمارين التحمل والتمارين المكثفة لمن يعاني من أعراض الإمساك، بينما لا ينصح بممارسة تمارين التحمل، مثل رياضة الجري، لمن يعاني من أعراض الإسهال؛ لأنها تزيد من ألم البطن والإسهال. فعند الجري يقل تدفق الدم إلى القناة الهضمية، وتقل عمليات امتصاص الطعام وإفراغه، وهو ما يزيد من المغص والإسهال.

كما تساعد تمارين المشي يوميا على تحسين حركة الأمعاء وخروج الغازات وخفض التوتر، ويحسّن المشي الحالة المزاجية، وهو ما يخفف من حدة أعراض تهيج القولون العصبي.

ولتمارين الاسترخاء فوائد صحية جمّة، حيث يقوم الإنسان بتصفية ذهنه من الأفكار المُقلقة، ثم يستخدم خياله في الذهاب إلى أماكن جميلة، ويعتمد على أفكار إيجابية. وهذا يساعده على تقليل الشعور بالألم والخمول وخفْض توتر العضلات وتحسين القدرة على النوم وزيادة التركيز وتعزيز الطاقة الإيجابية.

وتُحسّن السباحةُ المزاجَ العام وتقلّل الضغط العصبي، ويتم فيها تحريك الرجلين والذراعين؛ ما يُحسن حركة القولون ويخفض الألم والتقلصات بشكل عام.

> مرضى متلازمة القولون العصبي يتعين عليهم تجنب الرياضات التي يتعرض فيها البطن لشد أو ضغط أو صدمات

كما أن التنفس العميق يساعد على خفض حدة الأعراض، حيث يتم أخذ نفس عميق وطويل، وبطيء؛ فيخرج الهواء من خلال الأنف أو الفم، ويتم تكرار ذلك ما بين 5 و10 مرات، وهذا يُساعد أيضا على تقليل التقلصات وخفض التوتر.

وتسْهم طرق التنفس التي تتطلبها اليوغا في خفض حدة أعراض القولون العصبي وتقلصات البطن والتوتر.

المشي يقلل الضغط على الأمعاء

ضحايا في كل مكان وزمان

نساء اليمن يواجهن جميع أشكال التمييز تحت سلطة الحوثي

مصادرة حقوق النساء وصلت إلى المنع من استخدام الهاتف الذكي بعد القيود على التنقل والسفر

قرر الحوثيون فرض قيود جديدة على المرأة اليمنية وصلت إلى حياتها الشخصية داخل منزلها بمنعها من استخدام الهاتف الذكي، في انتهاك جديد يضاف إلى قيود أخرى شملت أبسط الحقوق بالتنقل والسفر.

صنعاء - ابتدع الحوثيون محرّمات جديدة على المرأة اليمنية بذرائع الدين والأخلاق والعادات الاجتماعية، وقرروا منع النساء والفتيات من اقتناء الهواتف الذكية بشكل قاطع، وفرض غرامة مالية على رب العائلة أو مقدم الخدمة الذي يتهاون بهذا القرار، في مصادرة مهينة لأبسط حقوق المرأة وانتهاك لإنسانيتها والتشكيك بأخلاقها.

وكشفت وثيقة أصدرتها قيادات حوثية وشخصيات اجتماعية ونافذة موالية للجماعة في 25 يوليو 2025 عن مجموعة من القيود على النساء في منطقة العسادي بمديرية وصاب التابعة لمحافظة ذمار (جنوب العاصمة صنعاء)، تحت مبرر الحفاظ على الأخلاق والقيم.

> وثيقة جديدة تتوسع في فرض القيود على النساء والحريات العامة بإقرار حظر تشغيل الأغاني والموسيقى في المناسبات

وتمنع الوثيقة استخدام الهواتف الذكية بشكل عام على النساء والأطفال، وتلزم العائلات بعدم إدخال الإنترنت، عبر خدمة شبكات الهاتف الأرضي، إلى المنازل أو تشغيل شبكات الواي فاي أو استقبال خدمات الشبكات التجارية في الأحياء داخل البيوت، ومنحت زعماء القبائل في المنطقة صلاحية مصادرة معدات أيّ شبكة واي فاي بالكامل.

وأقرّت الوثيقة التي أشرف قادة حوثيون على صياغة بنودها تغريم أيّ شخص، من أفراد عائلة المرأة المخالفة، أو بائعي الجوالات ومقدّمي خدماتها قرابة 1900 دولار (مليون ريال حيث تفرض الجماعة الحوثية سعراً ثابتاً للدولار بـ535 ريالا) في حالة المساعدة لها في امتلاك هاتف ذكي أو استخدامه.

كما مُنع الأطفال من امتلاك الهواتف النقالة، ويجري تغريم أي طفل يخالف ذلك، أو عائلته، قرابة 380 دولاراً (200 ألف ريال).

وتوسعت الوثيقة في فرض قيودها على الحريات العامة بإقرار حظر تشغيل الأغاني والموسيقى في المناسبات، مثل حفلات الزفاف أو الخطوبة، بما في ذلك منع مكبرات الصوت، ومعاقبة رب العائلة المخالفة بالغرامة نفسها.

وشملت حرية الحركة والتنقل للنساء، بحظر سفرهن من الريف إلى المدينة أو إلى مناطق بعيدة دون مرافقة ما يعرف بـ"المحرم" من الأقارب الذكور مهما كانت الظروف، وقضت بمعاقبة العائلة التي تخالف هذا البند بالغرامة المالية نفسها مع عقوبات أخرى تصل إلى مصادرة الممتلكات والطرد من المنطقة. ويعاقب أيّ سائق سيارة يساعد امرأة في التنقل من دون محرم بغرامة تزيد على 900 دولار (500 ألف ريال).

وامتدّت القيود إلى الحياة الاجتماعية، حيث نصّت الوثيقة على تنظيم الأعراس والمناسبات بتفصيل دقيق، يشمل تحديد مبلغ المهر لكل من العروس البكر (التي تتزوج لأول مرة) والثيب (المُتزوّجة سابقا)، في تدخل مباشر في الشؤون الخاصة للأسر. كما منع استخدام مكبرات الصوت في الأعراس، وحُرّمت الأغاني والموسيقى، ما أثار استياءً واسعًا بين الأهالي الذين يرون في هذه العادات جزءًا من التراث اليمني.

ويرفض غالبية أهالي العسادي الوثيقة التي يرون أنها فُرضت بالتفاهم بين قيادات حوثية ومشايخ وأعيان المنطقة الموالين للجماعة، دون أن يكون للسكان أيّ رأي فيها، إلا أنهم تلقوا تهديدات بفرض غرامات وعقوبات تصل إلى الاعتقال والطرد لمجرد الاعتراض على الوثيقة، في ظل أوضاع معيشية صعبة يواجهونها، وفقاً لمصادر محلية.

وتصف الناشطة وداد عبده هذه الوثيقة بالعقاب الجماعي غير المبرر على نساء المنطقة، وهو أمر يشبه الاعتقال أو السجن إلى حد كبير حسب تعبيرها، مشيرة إلى أن مثل هذه الإجراءات تحرم النساء من حقوقهن في الحركة والتنقل والمعرفة والتواصل.

هذه الوثيقة ليست الأولى من نوعها، ولن تكون الأخيرة، فقد سبق أن أصدرت الجماعة تعليمات مشابهة في مناطق أخرى، مستغلة خصوصية القبائل اليمنية، لتمرير أفكارها الرجعية.

وفرضت الجماعة هذه القيود على النساء في صنعاء قبل أشهر قليلة معتبرة أن الهواتف الذكية مؤامرة أميركية – إسرائيلية على النساء في قرية حمل مستدلة بآيات قرآنية والتي تخول الميليشيا الحوثية بتجريم استخدام الهواتف وفرض غرامات تصل إلى 20 ألف ريال ومصادرة الأجهزة الهاتفية.

وبحسب مصادر قبلية فإن اغلب أبناء القرية رفضوا القرار رافضين التشكيك في سمعة النساء في المنطقة والذي تحاول الميليشيا الحوثية تطبيقه في القرى ثم تعميمه في جميع مناطق سيطرتها بعد عجزها عن إلقاء القبض على المحتفلات بذكرى ثورة 26 سبتمبر خوفا من ردة فعل المجتمع اليمني.

كما أجبرت الجماعة الحوثية طالبات مدارس في العاصمة على ارتداء الزي النساء الإيراني المعروف بـ"الشادور" بدلاً من الحجاب التقليدي المصاحب للزي المدرسي، بمبرر الحفاظ على "الهوية الإيمانية".

وأصدرت قيادات في الجماعة الحوثية تدير قطاع التعليم تعليمات تحض مديرات المدارس على إلزام طالبات المراحل الابتدائية والأساسية بشراء وارتداء الزي الإيراني، وتوعد هؤلاء القادة مسؤولات المدارس والطالبات المخالفات لهذه التعليمات باتخاذ عقوبات بحقهن، تتضمن النقل إلى مدارس أخرى خارج العاصمة، والحرمان من دخول الامتحانات الشهرية.

وأدى هذا التوجه إلى حالة من الغليان والسخط والرفض المطلق في أوساط شريحة واسعة من السكان والتربويين خصوصاً، حيث أبدوا رفضهم لهذه الممارسات، التي تشكل، بحسب قولهم، إضافة جديدة إلى سجل الجماعة الحوثية الحافل بالانتهاكات المرتكبة في حق التعليم ومنتسبيه.

وبينما لا يزال الحوثيون يرفضون فتح الطرقات بين المحافظات، اتهمتهم منظمة "هيومن رايتس ووتش" الدولية بأنهم يواصلون فرض القيود المشددة على تنقل النساء وعملهن، ويستهدفون بشكل مباشر العاملات في المنظمات الإنسانية، وهي القيود التي أثرت على حياتهن وأعاقت قدرتهن على الحصول على الرعاية الصحية والتعليم والعمل، وحتى زيارة أسرهن.

وأفادت المنظمة بأن سلطات الحوثيين وسّعت نطاق القيود المفروضة على حركة المرأة في مناطق سيطرتها، طوال السنوات التسع الماضية. كما ذكرت أن هناك قيوداً على حركة المرأة في مختلف مناطق النزاع، بما فيها مناطق سيطرة الحكومة اليمنية.

وقالت نيكو جافارنيا، الباحثة في "هيومن رايتس ووتش" إنه بدلاً من تركيز الجهود على ضمان حصول الناس في اليمن على المياه النظيفة والغذاء الكافي والمساعدات "تنفق الأطراف المتحاربة طاقتها في زيادة الحواجز أمام حرية حركة المرأة." وذكرت أن لهذه القيود "تأثيراً رهيباً"، على حياة النساء، وتعيق قدرتهن على الحصول على الرعاية الصحية والتعليم والعمل، وحتى زيارة أسرهن.

وحصلت المنظمة على شهادات 21 امرأة، معظمهن ناشطات أو نساء يعملن مع منظمات غير حكومية، حول القيود المفروضة على الحركة التي واجهنها، وتأثير ذلك على حياتهن؛ بالإضافة إلى شهادة رجلين يعملان سائقين خاصين لنقل الأشخاص بين المحافظات، إلى جانب القوانين واللوائح اليمنية، فضلاً عن توجيهات الحوثيين الأخيرة لشركات السيارات ووكالات السفر التي تقيد حركة المرأة.

وخلصت إلى أن هذه القيود أثرت على حركة النساء في جميع قطاعات المجتمع اليمني. ونقل عن كثير من الأشخاص الذين تمت مقابلتهم أن بعض مسؤولي نقاط التفتيش استهدفوا على وجه التحديد النساء العاملات مع المنظمات غير الحكومية، والعاملين في المجال الإنساني. واستدل أيضاً بتقرير لجنة خبراء الأمم المتحدة المعنية باليمن لعام 2023، والذي أكدت فيه أنها تلقت تقارير عن منع النساء من السفر في المناطق التي يسيطر عليها الحوثيون.

وفي ديسمبر 2022، أفاد خبراء حقوق الإنسان التابعون للأمم المتحدة، بأن هيئة تنظيم النقل البري التابعة للحوثيين أصدرت توجيها شفهياً في أغسطس 2022، يطلب من النساء اللاتي يسافرن إلى أيّ مكان داخل المناطق التي يسيطرون عليها أو خارج البلاد، أن يرافقهن أحد أقاربهن الذكور من الدرجة الأولى.

ونقل التقرير عن امرأتين أنهما قررتا مغادرة صنعاء التي يسيطر عليها الحوثيون، والانتقال إلى عدن التي تتخذها الحكومة عاصمة مؤقتة للبلاد، بسبب القيود المتزايدة على النساء والمنظمات غير الحكومية التي فرضها الحوثيون على مدى السنوات القليلة الماضية.

ووصفت ناشطة سياسية يمنية تعيش في تعز التحديات التي تواجهها شقيقتها التي تعيش في صنعاء عند السفر، وتقول إنها في الخمسينات من العمر، ومع هذا أُجبرت على الحصول على موافقة ابنها الذي كان يبلغ من العمر (14 عاماً) للسفر. "وهذا يعني أن الحوثيين لا يعترفون بالمرأة كمواطنة كاملة الحقوق."

> الحوثي يفرض غرامة كبيرة على أي شخص من أفراد عائلة المرأة المخالفة لمنع استخدام الهاتف، أو مقدمي الخدمة

وطن مدمر

وكانت الأمم المتحدة قد أفادت بأن هذه القيود على الحركة أجبرت كثيراً من النساء اليمنيات على ترك وظائفهن في المنظمات غير الحكومية المحلية والدولية ووكالات الأمم المتحدة؛ لأنهن ليس لديهن قريب يمكنه مرافقتهن في رحلة عملهن الحاسمة، ما يفقدهن الدخل الذي تشتد الحاجة إليه.

وبيّن التقرير أن القيود أثّرت أيضاً على قدرة المرأة على الوصول إلى التعليم العالي، وأنه في بعض الحالات رفض السائقون اصطحاب النساء إلى الحرم الجامعي؛ لأنهم يعرفون ما سيواجهونه عند نقاط التفتيش، بما في ذلك مناطق سيطرة الحكومة.

وجزمت "هيومن رايتس ووتش" في تقريرها بأن القيود التي تفرض على حركة النساء تنتهك التزامات اليمن بموجب اتفاقية الأمم المتحدة للقضاء على جميع أشكال التمييز ضد المرأة (سيداو)، والعهد الدولي الخاص بالحقوق المدنية والسياسية، والميثاق العربي، المتعلق بحقوق الإنسان، وتتعارض مع الدستور اليمني الذي يضمن هذه الحقوق أيضاً.

وأكدت المنظمة في تقريرها أن "آثار هذه القيود على حياة المرأة كارثية؛ ليس فقط بالنسبة إلى النساء؛ بل إلى المجتمع اليمني بأكمله." وقالت إنه يجب على جميع السلطات الحاكمة أن توقف فوراً السياسات المعمول بها لتقييد حركة المرأة، وأن تضمن تدريب ضباط نقاط التفتيش على حماية الحقوق الأساسية لجميع المقيمين.

وقال الائتلاف الوطني للنساء المستقلات، في تقرير حقوقي أصدره مؤخرًا، إن المرأة اليمنية باتت تتحمل أعباء إضافية تتمثل في مسؤولية إعالة الأسرة وحمايتها في ظل غياب المعيلين.

وطبقًا لتقديرات أممية، فإن عدد الأسر التي تعيلها النساء في اليمن عام 2022 بلغ 417 ألف أسرة، مشيرة إلى أن الرقم مرشح للارتفاع مع استمرار النزاع وتدهور الأوضاع الاقتصادية. فيما أشارت تقارير أخرى إلى أن أعداد النساء العاملات في اليمن يزداد سنوياً، ليس بحثاً عن تحقيق الذات، بل كوسيلة وحيدة للبقاء على قيد الحياة.

ورغم دورها المحوري في تضميد جراح الحرب، إلا أن المرأة اليمنية برزت كضحيّة مباشرة للحرب والعنف الممنهج. وبحسب منظمة "هيومن رايتس وتش" فإن العنف ضد المرأة في اليمن ازداد بشكل كبير، حيث تشير تقديرات الأمم المتحدة إلى أن 3 ملايين امرأة وفتاة تقريبًا معرضات لخطر العنف.

ومنذ عام 2015 حتى نهاية 2020، قالت منظمة سام للحقوق والحريات (غير حكومية مقرها جنيف)، إنها رصدت أكثر من 4 آلاف انتهاك تعرضت لها المرأة اليمنية بعضها "يرقى إلى مستوى جرائم حرب وجرائم ضد الإنسانية."

وشملت هذه الانتهاكات، طبقًا لمنظمة سام، "القتل، والإصابات الجسدية، والاعتقال التعسفي، والإخفاء القسري، والتعذيب، ومنع التنقل،" إضافة إلى "نزوح أكثر من 900 ألف امرأة في مخيمات مأرب (شرق) لوحدها." وأوضحت أن "جماعة الحوثي جاءت في مقدمة الأطراف المنتهكة لحقوق المرأة بنسبة 70 في المئة."

بدورها، قالت اللجنة الوطنية للتحقيق في ادعاءات انتهاكات حقوق الإنسان (حكومية)، في تقرير سابق لها، إن "النساء اليمنيات يعشن أوضاعًا أقل ما توصف به أنها لاإنسانية."

وأضافت اللجنة الحقوقية الوطنية، أنها وثقت مقتل وإصابة 2617 امرأة وطفلة خلال الفترة من 2015 وحتى نهاية العام 2020، إثر القصف العشوائي الذي استهدف الأحياء السكنية بعدد من المحافظات اليمنية.

وفي ظل الأوضاع القاسية، تعاني المرأة اليمنية من ضعف التدخلات الحقوقية والإغاثية والإنسانية من قبل المنظمات الأممية والوكالات الدولية، بما فيها البرامج المخصصة لتنمية المرأة ومساعدتها على الصمود.

ورغم الأنشطة المحدودة لبعض المنظمات بتوفير فرص تدريبية للنساء لمساعدتهن على اكتساب مهارات جديدة، كالخياطة والتطريز وصناعة المشغولات اليدوية، إلا أنها تظل مبادرات متواضعة للغاية مقارنة بحجم الاحتياج.

العرب
الأحد 2025/08/03
السنة 48 العدد 13564

صراع الذهب يحتدم.. هل يتوج عثمان ديمبيلي بالكرة الذهبية

طريق الوصول إلى القمة وعرة

اشتعل الصراع على جائزة الكرة الذهبية لأفضل لاعب في العالم لعام 2025 بعد خسارة باريس سان جيرمان الفرنسي أمام نظيره تشيلسي الإنجليزي في نهائي كأس العالم للأندية. ويبدو أن سباق الكرة الذهبية لعام 2025 قد انحصر في اسمين بارزين هما عثمان ديمبيلي ولامين يامال، رغم أن هناك أسماء أخرى ما زالت في المنافسة مثل رافينيا لاعب برشلونة.

عبدالكريم البليخ
صحافي سوري

دمشق - في رحاب كرة القدم، هناك أسماء تلمع فجأة ثم تخبو، وأخرى تسطع رويدا رويدا حتى تستحيل شمسا لا تطفأ. وبين هذا وذاك، وُلد عثمان ديمبيلي من رحم الموهبة الخام، كأنّه سليل نجم عتيق ضلّ طريقه إلى المجرّة الصحيحة. لكنه، أخيرا، وصل. وصل في موسم تجلت فيه عبقريته، وتلاقت فيه الموهبة مع الإنجاز، ليتحوّل من لاعب مبشّر إلى لاعب مكتمل. السؤال الذي يطرق أبواب الرأي العام الكروي هذا العام: هل يستحق عثمان ديمبيلي الفوز بالكرة الذهبية؟

> الأرقام تقول الكثير، لكنها لا تقول كل شيء. وهنا تنبثق المقارنة، ويقف محمد صلاح كمرآة نقيضة لديمبيلي في انتظار الجواب

سؤال ظاهره تقني، إحصائي، لكنه في جوهره فلسفي وأخلاقي وجمالي. لأن الكرة الذهبية ليست مجرد جائزة تُمنح لأفضل لاعب بالأرقام فقط، بل هي انعكاس لرؤية العالم لكرة القدم نفسها، حيث تكمن المتعة، والفاعلية، والعبقرية، وحيث ينغرسُ أثر اللاعب في ذاكرة اللعبة وأرواح عشاقها.

فلنفتح هذا الباب إذا، بتأنّ وعمق، ونتأمل هذا السؤال، لا بوصفه استفتاء رياضيا، بل كعتبة لسردية شاملة تحكي عن موهبة ضاعت وتاهت، ثم وجدت نفسها من جديد، في مدينة خُلقت للحلم: باريس. عثمان ديمبيلي لم يأتِ من العدم. اسمه كان يرنّ في آذان الكشّافين وهو في رين الفرنسي، ثم اشتعلت الأضواء حينما انتقل إلى بوروسيا دورتموند، فأبهر العيون وأقلق الخصوم. ومن هناك، جاء برشلونة في خضم ما بعد نيمار، باحثا عن "بديل مستحيل". وكانت أولى بذور التوهان.

وعود منسية

في برشلونة، لم يكن الوقت كريما عليه. الإصابات طاردته كما تطارد اللعنة الأساطير التراجيدية، وكلما نهض، أسقطه القدر مرة أخرى. وباتت الجماهير تنظر إليه كوعود منسية، تُسجل في الهامش، لا في المتن. لكنه لم يفقد بريق عينيه. ومن تحت عَبَاءة الخذلان، وُلد شيءٌ داخله، شيءٌ لم نكن نراه. ربما كان هذا الشيء هو الإصرار. في عاصمة النور، جاء ديمبيلي لا بصفته نجم الشباك الأول، بل ظلّ في البداية يعيش تحت ظلال اسم ضخم يُدعى كيليان مبابي. ومع ذلك، فإن في الظلال ما يغذّي الطموح. هناك، تنمو الأشياء بصمت، وتتحرر من ضجيج التوقعات. وهكذا كان.

في غياب مبابي، انفجرت قدرات ديمبيلي كما لو أن شيئا ما في روحه كان ينتظر تلك اللحظة ليتمرد. 21 هدفا و6 تمريرات حاسمة في الدوري، 8 أهداف و6 تمريرات أخرى في دوري الأبطال، وكان الحاضر الأبرز في ليلة تاريخية أطاح فيها باريس بإنتر ميلان بخماسية قاسية في نهائي أوروبا. ليس فقط الأرقام، بل التأثير، الحضور، الفاعلية، والقدرة على قلب موازين المباراة بكرة، بتمريرة، أو بجري خاطف يفتك بالدفاع كما يفتك الضوء بالظلام. ولم يكن ذلك نجاحا فرديا فحسب، بل كان مرآة لتحول في هوية باريس سان جيرمان ذاته، من فريق يلهث وراء المجد إلى آخر يُهيمن على القارة العجوز، كأنما أصبح "فريقا كاملا" لا مجرد فسيفساء من النجوم. وكان محور هذا التحول، ببساطة، هو عثمان ديمبيلي. لكن هل تكفي الإحصائيات؟

الأرقام تقول الكثير، لكنها لا تقول كل شيء. وهنا، تنبثق عقدة المقارنة، ويقف محمد صلاح، كمرآة نقيضة لديمبيلي، في انتظار الجواب. صلاح، الذي واصل تحطيم الأرقام في الدوري الأقوى بالعالم، قدّم موسما عظيما من حيث المساهمات التهديفية، إذ ساهم بـ54 هدفا. لكن، عند تفكيك هذه الأرقام، يظهر التباس. لأن ركلات الجزاء تُحسب كما لو كانت لحظات بطولية، رغم أنها، في الحقيقة، لا تستلزم سوى بعض الأعصاب الفولاذية، لا عبقرية اللعب المفتوح. وهنا، يتحول الإحصاء إلى فن تأويلي، علينا أن نفرّق فيه بين ما يُسجَّل بسهولة، وما يُصنع تحت ضغط اللحظة.

ثم هناك رافينيا. من برشلونة، حيث الطموح يتناقض أحيانا مع الواقع، تألق بصمت. لا تصفيق هائل، لا عناوين ضخمة، بل عمل جاد. كان الأكثر إنتاجية في العالم بعد إعادة حساب الأرقام وفق قيمة الفرص، ولم يُقصّر في الواجبات الدفاعية. كان لاعبا حقيقيا في منظومة شاقة، يحترم اللعبة ويلعب من أجلها، لا من أجل الأرقام. وفي المقابل هناك أشرف حكيمي. الظهير الذي يشبه المهاجمين بسرعته وجرأته، ويمتلك في ذات الوقت حسا دفاعيا نادرا. لم يكن لاعبا مساعدا في الثلاثية التي أحرزها باريس هذا الموسم، بل كان ركنا أصيلا فيها، فارضا معايير جديدة لما يجب أن يكون عليه "الظهير العصري".

لكن رغم كل ذلك، فإن ديمبيلي ظلّ يحمل أفضليته الكبرى: التفوق في اللحظات الحاسمة. مباريات الأبطال، مواجهات الحسم، دقائق الأعصاب، كلها كانت ميادين لبروز نجوميته، لا مناسبات طارئة. لقد واجه صلاح، وتفوّق. واجه الإنتر، واكتسح. لعب نصف عدد دقائق بعض منافسيه، لكنه عادل أرقامهم، أو تجاوزها. في كرة القدم، كما في الحياة، لا تُقاس القصص بمشاهدها الأولى، بل بنهاياتها.

وديمبيلي، الذي وُصف طويلا بـ "الزجاجي"، عاد هذا الموسم ليُعرّفنا على معنى "الصلابة الفنية". لقد خاض 51 مباراة، سجل خلالها 34 هدفا ومرر 15 تمريرة حاسمة. قارنوا هذا بمواسمه السابقة كلها مجتمعة (28 هدفا فقط خلال خمس سنوات)، وسترون أن اللاعب الذي انتقده الجميع، قرر أن يصنع من الانتقاد وقودا للنهضة.

خصوم كبار

ليس هناك أكثر بلاغة من الأرقام حين تُقرن بالسياق. ديمبيلي لم يزدهر في دوري أقل تنافسية فحسب، بل أثبت فعاليته أمام خصوم كبار، وتحت ضغوط قاتلة. لم يكن ذلك مجرد "توهّج موسم"، بل علامة على تحول وجودي في مسيرة لاعب قرر أن يلتهم الخوف.

وإن شئنا أن نقرأ تألق ديمبيلي بلغة غير كروية، فلننظر إلى باريس نفسها. تلك المدينة التي تتقاطع فيها الأرواح كما تتقاطع الشوارع. من بين عمارات "الهاوسمان" الباذخة، وتاريخ نهر السين العتيق، ومن خلف ضباب الشتاء الباريسي، خرج ديمبيلي كما يخرج العمل الفني من الورشة، لا من المعرض. لم يكن بريقا مصنوعا، بل مخاضا عسيرا أنتج لاعبا كاملا. ولعل رمزية تحرره من ظلال مبابي، وتحوّله إلى قائد لهجوم باريس، تشبه ما تفعله المدينةُ مع فنانيها: لا تعطيك المجد بسهولة، لكنها تمنحك حين تثبت أنك جدير بالحياة فيها. فهل يستحق ديمبيلي الكرة الذهبية؟

إن السؤال الأعمق ربما ليس "هل يستحق؟"، بل: ما الذي نُريده نحن من اللعبة؟ هل نبحث عن اللاعب الأكثر تأثيرا؟ الأكثر تسجيلا؟ الأكثر ثباتا؟ أم أن الكرة الذهبية ينبغي أن تُمنح لمن أعاد تعريف دوره، وأعاد تشكيل معالم ناديه، وتحرّر من أشباح ماضيه ليبني مستقبلا يشبه الأساطير؟ عثمان ديمبيلي، لم يكن مجرد لاعب جيد في فريق قوي. لقد كان القصة ذاتها، فهل يتوج بالكرة الذهبية؟ حكاية العودة، والصبر، والانفجار، والسؤال الذي لن يُمحى بسهولة من ذاكرة اللعبة: كيف انتظرناه طويلا... لكنه حين جاء، لم يخيّب أحدا.

هل يكمل جواو فيليكس القطعة الناقصة في تشكيلة جيسوس

سيناريو مالكوم يضيء طريق النجم البرتغالي

الرياض - قدم نادي النصر السعودي واحدة من أبرز المفاجآت في فترة الانتقالات الصيفية الجارية عبر إعلان التعاقد مع البرتغالي جواو فيليكس نجم تشيلسي، خاصة وأن اللاعب لم يكن مرتبطا باللعب في دوري روشن بالآونة الأخيرة. فيليكس (25 عاما) وقع على عقود انضمامه إلى النصر لمدة موسمين مع أفضلية التجديد لموسم آخر مقابل 30 مليون يورو قادما من تشيلسي ليدعم خط هجوم "العالمي" بجانب مواطنه الأسطورة كريستيانو رونالدو.

ورغم الموهبة التي يمتلكها فيليكس، إلا أنه لم يلق ترحيبا كبيرا من أغلب جماهير النصر، بسبب الإخفاقات العديدة التي تعرض لها طوال مسيرته، وتحديدا منذ رحيله عن بنفيكا في صيف 2019.

التعاقد مع جواو فيليكس جاء بناء على ثقة كاملة من البرتغالي جورجي جيسوس مدرب النصر، ومواطنه رونالدو الذي يتحكم بنسبة كبيرة في صفقات "العالمي" والمشروع الرياضي بشكل عام. صحيح أن فيليكس يعاني من قصور بدني وسوء تركيز واضح في أغلب مسيرته، إلا أن ذلك لا يمنع تمتعه بقدرات فنية وتكتيكية على أعلى مستوى، ستدعم طموح رونالدو وجيسوس في إعادة النصر لمنصات التتويج مرة أخرى.

ولعل الهدف المشترك في الوقت الحالي بين رونالدو وجيسوس هو إعادة بناء فريق قوي يستطيع المنافسة وسيتحقق ذلك بضم مزيج من اللاعبين الشباب وأصحاب الخبرات، لذا فالتعاقد مع فيليكس ضمن أبرز الخطوات. وأكد جيسوس في تصريحات لوسائل الإعلام البرتغالية، عقب مواجهة تولوز، أنه يثق في قدرات فيليكس، وسيعمل جاهدا لإعادته إلى مستواه السابق رفقة بنفيكا قبل 2019.

استفادة فنية

سيكون فيليكس بمثابة الرهان الأبرز في تشكيلة النصر خلال الموسم المقبل، بعدما قرر جيسوس الإطاحة بمواطنه أوتافيو مونتيرو، وهو القرار الذي تعرض بسببه لانتقادات جماهيرية واسعة.

وهناك العديد من الأسباب التي دفعت النادي النصراوي إلى التعاقد مع فيليكس، يأتي على رأسها قدرة اللاعب على اللعب في مركزي صانع الألعاب (10) والمهاجم المتأخر. وافتقد النصر اللاعب الذي يجيد لعب هذا الدور بكفاءة عالية خلال السنوات الماضية، ولكن فيليكس لديه القدرة على تقديم الإضافة المطلوبة خلف رونالدو بالموسم الجديد، نظرا لأنه يجيد صناعة اللعب والدخول إلى العمق والتحرك على الأطراف بصورة رائعة.

وتفوق فيليكس على العديد من اللاعبين الذين دخلوا دائرة اهتمامات النصر خلال الفترة الأخيرة، وذلك لأن جيسوس يرغب في لاعب يمتلك هذه الصفات، نظرا لطريقته الهجومية التي تعتمد على ثنائي في الوسط بخصائص دفاعية وهجومية، وأمامهما رأس مثلث هجومي يدعم الجناحين ورأس الحربة.

ويتمتع فيليكس بقدرة كبيرة على امتلاك الكرة ونقلها إلى الأمام بكفاءة عالية، وهو ما سيساعد رونالدو على تسجيل أكبر عدد ممكن من الأهداف، في الوقت الذي يحاول فيه جيسوس تطبيق أسلوبه المتمثل في الاستحواذ الدائم والضغط بكافة في أرجاء الملعب. فضلا عن ذلك، فإن جواو فيليكس يجيد القدرة على المرور في المواقف الفردية وتسجيل الأهداف عبر اقتحام منطقة الجزاء، وهو ما سيعطي النصر قوة هجومية مفرطة.

ساحر جديد

رغم الانتقادات المستمرة التي تعرض لها جيسوس في الأيام الماضية بسبب اختيار فيليكس، إلا أنه قد يكون بمثابة ساحر جديد في صفوف النصر. بالعودة إلى صيف 2023، نجد أن جيسوس أصر على التعاقد مع البرازيلي مالكوم دي أوليفيرا، عندما تولى قيادة الهلال، رغم أن النادي كانت لديه القدرة على ضم لاعبين بإمكانيات أفضل.

وتعرض المدرب البرتغالي وقتها للانتقادات كما يحدث في الوقت الراهن، ولكنه أثبت صحة وجهة نظره بعد مستوى مذهل لمالكوم في الموسم الأول، حيث كان اللاعب الأهم في الفريق، بفضل قدرته على اللعب في مركزي (9.5 و10)، بالإضافة إلى الاستعانة به كجناح أيمن. المثير في الأمر أن مالكوم تعرض قبل الانتقال إلى الهلال لعدة تعثرات في مسيرته وعدم استقرار، وهو ما يتشابه مع فيليكس الذي يمكن أن يسير على خطاه بالتالق مع النصر والرد على جميع الانتقادات.

يمكن القول إن التعاقد مع فيليكس سيكون سببا رئيسيا في رحيل العديد من اللاعبين عن النصر، وعلى رأسهم أوتافيو الذي خرج من حسابات جيسوس، لعدم توافق إمكانياته مع الخطط المستقبلية. كذلك، سيعاني سامي النجعي من أجل المشاركة خلال الموسم الجديد، بسبب اللعب في نفس مركز جواو فيليكس، فضلا عن عودته المتأخرة من الإصابة.

وبالتالي، فإن فيليكس سيحظى بثقة ودعم كبير للمشاركة بصورة مستمرة خلال الموسم المقبل من أجل استعادة بريقه والعودة إلى الطريق الصحيح. ودون أدنى شك، يتطلع فيليكس إلى العودة إلى أوروبا مرة أخرى في المستقبل القريب، نظرا لأنه لا يزال صغيرا ويمتلك جميع المقومات للنجاح، ولكنه يحتاج إلى استعادة الثقة والتطور في بعض الجوانب.

وبالتواجد تحت قيادة جيسوس واللعب بجانب رونالدو، فإن جواو فيليكس يمكنه استعادة نفسه وإنقاذ مسيرته خلال السنوات المقبلة. يبدو أن كريستيانو رونالدو، قائد النصر، قرر السير على خطى زميله السابق كريم بنزيمة، نجم اتحاد جدة، بهدف بناء فريق قادر على المنافسة وتحقيق البطولات.

ومع فشله في حصد أي لقب محلي أو آسيوي منذ انضمامه إلى صفوف النصر في يناير 2023، وضع رونالدو على عاتقه مهمة تغيير جلد الفريق.

وبدأ الدون مهامه خارج المستطيل الأخضر، إذ تدخل بشكل مباشر في ملف التعاقدات الصيفية، فضلا عن دوره في انضمام مواطنه المدرب جورجي جيسوس. الدور الذي يلعبه رونالدو يعيد للأذهان ما قام به بنزيمة في الاتحاد الصيف الماضي، حيث شارك الإدارة في اتخاذ القرار، ليقود العميد لنجاح غير متوقع بالتتويج بثنائية الدوري والكأس في السعودية.

بعد موسم مخيب لبنزيمة مع الاتحاد في 2023 – 2024، لم يحصد فيه أي لقب، بل إنه فشل حتى في إنهاء الدوري بين الأربعة الكبار، قرر النجم الفرنسي إحداث ثورة في قلعة الأصفر والأسود.

> رغم الموهبة التي يمتلكها فيليكس، إلا أنه لم يلق ترحيبا كبيرا من أغلب جماهير النصر بسبب الإخفاقات العديدة

ولا يخفى على أحد أن بنزيمة كان وراء الإطاحة بلاعبين كبار من صفوف الاتحاد الصيف الماضي، على رأسهم عبدالرزاق حمدالله، بعد أن فشلا في تكوين ثنائي هجومي متفاهم، فيما طلب الفرنسي التعاقد مع لاعبين يخدمون طريقة لعبه.

البداية كانت بضغطه على الإدارة لإقالة المدرب الأرجنتيني مارسيلو جياردو، وطلبه التعاقد مع لوران بلان، بداعي أن اللغة الفرنسية ستسهل التفاهم بينهما ما يصب في صالح الفريق.

واعترض بنزيمة وقتها على التعاقد مع الإيطالي ستيفانو بيولي رغم اتفاق الإدارة معه، ما دفع الرئيس السابق لؤي ناظر إلى تقديم استقالته. لم يكتفِ صاحب الـ37 عامًا بالطاقم الفرنسي، وإنما طلب التعاقد مع مواطنه موسى ديابي، والجزائري من أصول فرنسية حسام عوار.

رقم صعب يعيد اكتشاف نفسه

العرب
الأحد 2025/08/03
السنة 48 العدد 13564

أسود الأطلس يعودون إلى «الشان» بطموح الزعامة القارية

منافسة قوية في مجموعة تضم كينيا وأنغولا وزامبيا والكونغو الديمقراطية

يطمح المنتخب المغربي للاعبين المحليين في كرة القدم إلى الهيمنة القارية على مسابقة كأس أفريقيا للمحليين (الشان) في نسختها الحالية، وذلك بعد تتويجات سابقة اعتلى فيها المنصات منفردا بالرقم القياسي في ذلك.

رقم صعب في القارة السمراء

الرباط - بعد غياب اضطراري عن نسخة الجزائر 2022، يعود المنتخب المغربي للاعبين المحليين (أسود الأطلس) إلى منافسات كأس أمم أفريقيا للمحليين (شان) في نسخة 2024، حاملا طموح مواصلة الهيمنة القارية وإضافة لقب ثالث إلى سجله الذهبي لينفرد بالرقم القياسي في عدد التتويجات، الذي يتقاسمه حاليا مع منتخب الكونغو الديمقراطية.

ويأتي هذا الحضور المنتظر عقب تتويجين متتاليين في نسختي 2018 و2020، جعلا من المغرب قوة قارية في هذه المسابقة الخاصة بالمواهب المحلية.

أما نسخة 2024، فتمثل فرصة سانحة لتعزيز هذا المسار والارتقاء إلى مصاف الزعامة المطلقة.

> المنتخب المغربي كان أول من حل بالعاصمة الكينية نيروبي، قبل أيام من انطلاق البطولة، متقدما على باقي المنتخبات

وفي مشهد يعكس جدية الاستعداد، كان المنتخب المغربي أول من حل بالعاصمة الكينية نيروبي، قبل أيام من انطلاق البطولة، متقدما على باقي المنتخبات على أمل التحضير المبكر والتأقلم مع الظروف المناخية والجغرافية، لاسيما عامل الارتفاع الكبير عن سطح البحر، والذي يعد تحديا بدنيا حاسما في مثل هذه المنافسات.

وحطت بعثة "أسود الأطلس" الرحال، في مطار، جومو كينياتا الدولي، بمدينة نيروبي، الاثنين وحظيت باستقبال حافل تخللته فقرات فنية وموسيقية.

ويخوض أسود الأطلس غمار البطولة ضمن مجموعة أولى قوية تضم إلى جانبهم البلد المضيف كينيا، وأنغولا، وزامبيا، والكونغو الديمقراطية. وسيبدأ المنتخب مسيرته بمواجهة صعبة أمام أنغولا، اليوم الأحد، على ملعب نايو الوطني في نيروبي.

وشملت التحضيرات الفنية معسكرين تدريبيين مكثفين، اختتما بمباريات ودية أبرزها الفوز الكبير على تشاد بسداسية نظيفة، في لقاء منح العناصر الوطنية دفعة معنوية قوية قبل بدء المنافسات.

لكن هذا المسار التحضيري لم يخل من تعقيدات، أبرزها ما يتعلق بتحديد اللائحة النهائية، في ظل انتقال عدد كبير من اللاعبين المحليين إلى الاحتراف الخارجي، ما أربك الحسابات الفنية للمدرب طارق السكتيوي.

وتعليقا على آخر التعقيدات التي واجهته يقول طارق السكتيوي مدرب المنتخب "كنا نراهن على جيل مواليد 2000 وما فوق، بهدف تجديد دماء المنتخب، لكننا فوجئنا باحتراف عشرة لاعبين دفعة واحدة، ما فرض علينا تجاوز معيار السن وإعادة بناء المجموعة بالكامل خلال وقت قياسي."

وأضاف "وجدنا أنفسنا أمام وضع معقد، تطلب منا إعادة تشكيل النواة الأساسية للفريق خلال 48 ساعة فقط، رغم أن إعداد منتخب لهذا المستوى يتطلب ستة أشهر على الأقل. ومع ذلك، عملنا بتركيز وفعالية لاختيار لاعبين جاهزين بدنيا وذهنيا، وقادرين على تشريف كرة القدم المغربية."

وعن الحضور المبكر إلى كينيا، قال السكتيوي "قررنا السفر باكرا للتأقلم مع الطقس وخصائص الملاعب والارتفاع عن سطح البحر. نريد دخول البطولة ونحن في أتم الجاهزية من جميع الجوانب."

ويواجه السكتيوي تحديا إضافيا يتمثل في تفاوت الجاهزية البدنية والفنية بين اللاعبين، بحكم أن المعسكر يأتي في مستهل الموسم الرياضي الجديد، حيث تختلف درجة التحضير من لاعب إلى آخر. وهذا الوضع فرض على الطاقم التقني إخضاع اللاعبين لاختبارات مكثفة لضبط مستويات اللياقة قبل انطلاق المنافسات.

ورغم كل هذه التحديات، يبدي السكتيوي تفاؤلا كبيرا بقدرة المنتخب على التألق، مشددا على أن الهدف لا يقتصر على المشاركة، بل يتجاوز ذلك نحو المنافسة على اللقب.

وقال "كرة القدم المغربية بلغت مرحلة تتطلب منا اللعب من أجل الألقاب. التتويج لم يعد ترفا، بل التزام بمستوى الطموحات التي نعيشها اليوم."

وفي حال تجاوز منتخب المغرب الدور الأول بنجاح، فإن الطريق سيكون مفتوحا نحو منصة التتويج، والعودة بالكأس القارية التي طالما كانت في متناول أسود الأطلس، والمرور بالتالي إلى مرحلة الانفراد الكامل بالزعامة القارية في "الشان".

ويسعى منتخب المغرب لأن يصبح أول فريق يتوج بلقب بطولة كأس أفريقيا للمحليين، ثلاث مرات، كما يتطلع لاستغلال وصوله المبكر من أجل التأقلم بسرعة مع الأجواء، قبل الدخول في المراحل الأخيرة من التحضيرات الخاصة بالمباراة الافتتاحية.

وقال المدافع مروان لوداني لاعب نادي الجيش الملكي المغربي "نحن متحمسون لتواجدنا هنا، وجاهزون للبطولة، لقد أحببت نيروبي من اللحظة الأولى، الطقس رائع، ونتطلع لتقديم بطولة ناجحة."

وتوج منتخب المغرب بلقب البطولة عام 2018 على أرضه، ثم أعاد الكرة في نسخة 2021 التي أقيمت في، الكاميرون، ليصبح واحدا من منتخبين فقط أحرزا اللقب مرتين، إلى جانب منتخب جمهورية الكونغو الديمقراطية، الذي سيواجهه في دور المجموعات من النسخة الحالية.

وأجرى منتخب المغرب تحضيرات مكثفة قبل السفر، تخللته لقاءان وديان أمام منتخب بوركينا فاسو، إضافة إلى فوز كبير على منتخب تشاد، بسداسية نظيفة.

وتتزايد مشاعر الحماس في مدينة، نيروبي، مع اقتراب موعد صافرة البداية، حيث تستعد لاحتضان واحدة من أكبر الفعاليات الرياضية التي شهدتها، كينيا، على الإطلاق.

وباشر الاتحاد الأفريقي لكرة القدم (الكاف)، ولجنة التنظيم المحلية، في تطبيق الإجراءات المتعلقة ببيع التذاكر، في وقت يستعد فيه عشاق كرة القدم في العاصمة لمتابعة الحدث المرتقب.

وتقام البطولة في الفترة الممتدة بين 2 و30 أغسطس، وتخصص حصريا للاعبين الذين ينشطون في دورياتهم المحلية، ما يتيح الفرصة للمواهب المحلية للتألق على الساحة القارية.

وستجرى مباريات البطولة في عدد من الملاعب عبر، كينيا، تنزانيا وأوغندا، في خطوة تعكس قدرة منطقة شرق أفريقيا المتنامية على تنظيم بطولات كبرى، كما تعد اختبارا مهما قبل استضافة كأس أمم أفريقيا.

الكوري سون يعلن رحيله عن توتنهام الإنجليزي

سيول - أعلن المهاجم وقائد الفريق الكوري الجنوبي سون هيونغ – مين السبت نيته الرحيل هذا الصيف، بعد عشرة مواسم أمضاها مع فريق شمال لندن أحرز خلالها لقبا واحدا.

وقال الجناح أمام صحافيين في سيول حيث يلعب توتنهام مع نيوكاسل مباراة ودية اليوم الأحد "قبل البداية في المؤتمر الصحفي، أريد القول إنني قررت مغادرة النادي هذا الصيف،" موضحا أن توتنهام يساعده في هذا الصدد.

ووصل ابن الثالثة والثلاثين عاما إلى الفريق الإنجليزي عام 2015 قادما من باير ليفركوزن الألماني مقابل ثلاثين مليون دولار.

وخاض معه أكثر من 450 مباراة وأحرز أخيرا لقب الدوري الأوروبي (يوروبا ليغ)، في موسم أبعدته فيه الإصابات عن مستواه المعهود.

وسون الذي سجل 173 هدفا مع توتنهام بينها 127 في الدوري ويرتبط معه بعقد حتى 2026، لم يكشف عن وجهته المقبلة وبدا متأثرا.

وأشارت تقارير صحفية إلى دخوله في مفاوضات مع نادي لوس أنجلس أف سي الأميركي للانتقال إلى صفوفه.

وجلس إلى جانب مدربه الدنماركي توماس فرانك وقال "كان أصعب قرار في حياتي. ذكريات لا توصف."

تابع سون الذي استهل مشواره الاحترافي في الدوري الألماني لكرة القدم مع هامبورغ "أحتاج إلى بيئة جديدة تساعدني على النهوض. أنا في حاجة إلى تغيير، عشر سنوات هي مدة طويلة. جئت إلى شمال لندن وأنا طفل بعمر الثالثة والعشرين، صغير جدا. أترك هذا النادي رجلا فخورا."

وكان النصف الثاني من مشواره مع توتنهام متقلبا، مع ستة مدربين في ست سنوات.

وتحت إشراف الأسترالي أنج بوستيكوغلو، آخر الراحلين، حل في المركز السابع عشر في الدوري لكنه تمكن من انتزاع اللقب القاري الرديف، وهو أول لقب قاري لتوتنهام في 41 سنة.

وتابع سون "الفوز باللقب القاري جعلني أشعر بأنني حققت كل ما يمكنني تحقيقه. أمضيت وقتا طويلا أفكر ما إذا كنت أريد اختبار كرة القدم في بيئة مختلفة، وأجريت محادثات مع نفسي مرارا وتكرارا."

كما وجد سون نفسه يتيما في الهجوم بعد انتقال هاري كاين إلى بايرن ميونخ الألماني في 2023.

> أمضيت وقتا طويلا أفكر ما إذا كنت أريد اختبار كرة القدم في بيئة مختلفة، وأجريت محادثات مع نفسي مرارا وتكرارا

وبعد أن ورث شارة القائد إثر رحيل كاين، كان أقل حسما في موسم 2024 – 2025، خصوصا بسبب الإصابات، فجلس على مقاعد البدلاء في بعض المباريات، على غرار نهائي يوروبا ليغ.

وفي موسم 2022، كان من أفضل اللاعبين في البريميرليغ، وأحرز لقب الهداف بالتساوي مع المصري محمد صلاح نجم ليفربول (23 هدفا)، رغم أنه لم يكن المسدد الأول لركلات الجزاء. أصبح آنذاك أول لاعب آسيوي يحرز لقب هداف الدوري الإنجليزي.

وتعرّض سون للتشتيت بسبب قضايا غير رياضية، وأعلنت الشرطة الكورية الجنوبية في مايو توقيف شخصين حاولا ابتزازه ماليا. قبلها، حُكم على والده، أحد الأشخاص المعروفين في البلاد وصاحب أكاديمية، بدفع غرامة بقيمة 2300 دولار في أكتوبر 2024 بسبب سوء معاملة الأطفال.

وقال توماس فرانك القادم من برنتفورد "شخصيا، كنت أرغب كثيرا بالعمل مع هذا الشخص واللاعب الرائع." وتابع "هو أسطورة في سبيرز على مختلف المستويات، أحد أفضل اللاعبين في تاريخ البريميرليغ."

ويبدو صيف انتقالات توتنهام هادئا حتى الآن، حيث استقدم لاعب الوسط الهجومي الغاني محمد قدوس من وست هام، فيما تعثر انتقال مورغان غيبس – وايت من نوتنغهام فوريست، في صفقة مقدرة بستين مليون جنيه إسترليني (نحو 80 مليون دولار).

قائد متألق في ملاعب إنجلترا

التونسي أحمد الجوادي يطارد لقب بطولة العالم للسباحة

سنغافورة - تأهل السباح التونسي والبطل العالمي أحمد الجوادي فجر السبت إلى الدور النهائي لسباق 1500 متر سباحة حرة ضمن بطولة العالم للرياضات المائية المقامة حاليا بسنغفورة، بعدما تصدر المجموعة الثالثة من التصفيات بتوقيت قدره 14 دق و44 ث و95 جزء في المئة.

وجاء في المركز الثاني في تصفيات المجموعة الثالثة الألماني زفين شفارز (14 دق و45 ث و31 جزء في المئة) في حين حل في المركز الثالث الأميركي بوبي فينكه (14 دق و45 ث و70 جزء في المئة).

وحقق أحمد الجوادي ثاني أفضل توقيت في التصفيات خلف الألماني فلوريان ويلبروك الذي سجل زمنا قدره 14 دق و44 ث و81 جزء في المئة. وسيقام الدور النهائي اليوم الأحد.

وكان أحمد الجوادي قد توج يوم الأربعاء الماضي بالميدالية الذهبية لسباق 800 متر سباحة حرة بتوقيت قدره 7 دق و36 ث و88 جزء في المئة.

كما توج الجوادي (20 عاما) خلال بطولة العالم (حوض صغير) ببودابيست سنة 2024 بالميدالية الذهبية لسباق 1500 متر سباحة حرة والميدالية البرونزية لسباق 800 متر سباحة حرة. كما أحرز في الألعاب الأولمبية باريس 2024 المركز الرابع في سباق 800 متر سباحة حرة والمركز السادس في سباق 1500 متر سباحة حرة.

ويتطلع السباح الألماني فلوريان فلبروك لإضافة المزيد من الميداليات الذهبية إلى رصيده الوفير منها خلال بطولة العالم في سنغافورة بعد تحقيقه أسرع زمن وتأهله لنهائي سباق 1500 متر حرة السبت.

واكتسح فلبروك (27 عاما) سابقيه في برنامج المياه المفتوحة الشهر الماضي ليصبح أول سباح يفوز بجميع السباقات الفردية الثلاثة وساعد ألمانيا في الفوز بذهبية الفرق في جزيرة سنتوسا.

كما سيكون بوبي فينك، البطل الأولمبي الأميركي المتوج مرتين متتاليتين، والأسترالي سام شورت من بين المرشحين للفوز بميدالية في نهائي مثير في اليوم الأخير من المنافسات.

واضطر دانييل ويفن حامل اللقب، أول أيرلندي يحصد ميدالية عالمية في السباحة للرجال، إلى الانسحاب من السباق بسبب استمرار تداعيات التهاب الزائدة الدودية الذي عانى منه في يونيو الماضي.

> السباح التونسي أحمد الجوادي كان قد توج يوم الأربعاء الماضي بالميدالية الذهبية لسباق 800 متر سباحة حرة

العرب
الأحد 2025/08/03
السنة 48 العدد 13564

«دبي مولاثون».. تحسب خطواتك وأنت تتسوق

أطلقت دبي مبادرة "دبي مولاثون" لتحويل مراكز التسوق إلى مسارات رياضية للمشي والجري، بهدف تعزيز نمط الحياة الصحي. وتشمل المبادرة تسعة مراكز، وتتيح المشاركة المجانية للجميع، مع تطبيقات ذكية وتفاعل واسع من السكان والزوار.

بادرة فريدة

دبي - في مشهد غير تقليدي، بدأت مراكز التسوق الكبرى في دبي يوم الجمعة أولى خطواتها لتحويل بعض ممراتها إلى مسارات مخصصة لممارسة رياضات المشي والجري ضمن مبادرة "دبي مولاثون" التي أطلقتها حكومة دبي لتشجيع السكان والزوار على تبني أنماط حياة صحية.

وانطلقت المبادرة اعتبارًا من صباح الجمعة في تسعة من أبرز المراكز التجارية في دبي بعد أيام من إطلاقها من قبل ولي عهد دبي الشيخ حمدان بن محمد بن راشد آل مكتوم.

وفي أروقة "دبي مول"، الذي يُعد من أكثر المراكز زيارة في العالم، بدأت فرق تنظيمية منذ الصباح الباكر توجيه الزوار عبر العلامات الأرضية الجديدة التي تحدد مسارات "المولاثون"، فيما عرضت شاشات إلكترونية عدد الخطوات والمسافات المقطوعة، إضافة إلى نصائح غذائية ورياضية يومية.

وتقام فعاليات المبادرة يومياً من الساعة 7 صباحاً حتى 10 صباحاً بالتوقيت المحلي.

ومع أول أيام المبادرة شهد "دبي مول" ازدحاماً كبيراً من المشاركين الصغار والكبار إلى جانب حضور نسوي واسع كان لافتاً للغاية.

وقالت الفلسطينية سهى بشير وهي إحدى المشاركات في الحدث تبلغ من العمر (22 عاما) لوكالة أنباء (شينخوا) إنه "منذ الإعلان عن المبادرة قمنا بالتسجيل للحصول على بطاقة المشاركة وانتظرنا بفارغ الصبر انطلاقة اليوم في دبي مول لنكون أول المشاركين فيها".

وتتميز مبادرة "دبي مولاثون" بأنها متاحة للجميع عبر التسجيل مباشرة على موقع إلكتروني مخصص يحصل الراغبون في المشاركة من خلاله على بطاقة رقمية تؤكد الانضمام، وهي مجانية بشكل كامل.

وتشارك السورية تهاني العلي، وهي موظفة تبلغ من العمر (35 عاما) في فعالية الجري، وهي ترى أن "هذه المبادرة قيمة مضافة لأسلوب الحياة في دبي".

وقالت العلي "الكثيرون لا يحبون المساحات الضيقة في النوادي الرياضية لممارسة النشاط البدني، وقد جاءت هذه المبادرة اليوم لتعطي الإحساس بأننا نمارس الرياضة في الخارج، ولكن في بيئة مكيفة وآمنة".

وتجسد هذه المبادرة التزام المركز التجاري "دبي مول" بدعم الصحة المجتمعية، وفق مدير العمليات به عارف خان.

وقال خان إنه "لطالما كان دبي مول وجهة للترفيه والتسوق، واليوم نضيف له بُعدًا رياضيًا. نحن نحوّل المول إلى ساحة مفتوحة للحركة والنشاط البدني في أجواء مريحة وآمنة".

وفي "مول الإمارات"، يستخدم الزوار تطبيقا إلكترونيا خاصا بالمبادرة يتيح تتبع التقدم اليومي، والمشاركة في تحديات أسبوعية تتيح للفائزين الحصول على خصومات وهدايا من متاجر مختارة.

وقالت سارة البستكي مديرة التسويق في مجموعة ماجد الفطيم العقارية المالكة لمول الإمارات "إن الهدف هو أن ندمج اللياقة بالأنشطة اليومية للناس. يمكنك أن تتسوّق وتتمشّى وتعتني بصحتك في الوقت ذاته".

وتفاعل سكان دبي مع انطلاق المبادرة، إذ قال فهد الكعبي، وهو موظف في الثلاثينات من عمره، إنها "فكرة ذكية ومريحة".

وأضاف الكعبي "لا حاجة للذهاب إلى النادي الرياضي، يمكنني الآن أن أمارس المشي بعد التسوق، وأشجع أولادي على المشاركة كذلك".

فيما قالت العداءة الإماراتية نورة المهيري "إن المبادرة تمنح معنى جديدًا للرياضة المجتمعية".

وأضافت "هذا النوع من المبادرات يقرّب الناس من أسلوب حياة نشط بطريقة غير نمطية، وضمن بيئة مشجعة وآمنة، خاصة للعائلات والأطفال".

وتهدف مبادرة "دبي مولاثون" إلى جعل دبي مدينة صديقة للحركة والنشاط، من خلال توظيف البنية التحتية الحديثة والمراكز التجارية في خدمة أهداف الصحة العامة.

وفي مركزي "مردف سيتي سنتر" و"ديرة سيتي سنتر" التجاريين، انطلقت فعاليات المبادرة وسط استعدادات واسعة.

وقال مدير مركز "ديرة سيتي سنتر" محمد عبدالله إن المبادرة جاءت استجابة لتطلعات الجمهور، مضيفا "لاحظنا في السنوات الأخيرة رغبة متزايدة من رواد المول في أنشطة رياضية خفيفة. الآن نوفر لهم بنية تحتية مصممة لذلك".

وأشار إلى أن المسارات الرياضية ستكون مزودة بمحطات مياه، وزوايا للتوقف، وحتى ممرات مخصصة لذوي الاحتياجات الخاصة.

وتأتي هذه الخطوة ضمن حملة أوسع أطلقها ولي عهد دبي لتشجيع الرياضة المجتمعية خلال أشهر الصيف.

وشهدت مبادرات اللياقة البدنية المجتمعية في دبي مشاركة أكثر من 2.5 مليون شخص في السنوات الخمس الماضية، مع نمو مطرد في عدد الفعاليات والمشاركين سنويًا، وفق بيانات دائرة الاقتصاد والسياحة في دبي.

مواقع فلسطينية في سجل التراث المعماري العربي

رام الله - أعلنت وزارة السياحة والآثار الفلسطينية السبت نجاحها في إدراج ثلاثة مواقع من فلسطين في سجل التراث المعماري والعمراني العربي وهي البلدة القديمة في القدس، والبلدة القديمة في الخليل، والجامع العمري الكبير في مدينة غزة.

وقالت الوزارة، في بيان نشرته على صفحتها بموقع فيسبوك، إن ذلك جاء خلال اجتماع لمرصد التراث المعماري والعمراني في البلدان العربية بدعوة وتنظيم من المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم (الألكسو) بالتعاون مع وزارة الثقافة اللبنانية.

وأشارت إلى أن تسجيل هذه المواقع في سجل التراث العربي يأتي في وقت بالغ الحساسية، حيث تواجه هذه المواقع، إلى جانب غيرها من معالم التراث الثقافي في فلسطين، "اعتداءات ممنهجة من قبل الاحتلال الإسرائيلي ومستوطنيه، فالبلدات القديمة في القدس والخليل تتعرض بشكل يومي لسياسات التهويد ولمحاولات طمس الهوية العربية والإسلامية، في حين أن الجامع العمري الكبير في مدينة غزة، قد طالته آلة الحرب الإسرائيلية خلال العدوان الأخير، حيث تعرض لدمار واسع أتى على معظم أجزائه المعمارية والأثرية، في انتهاك صارخ للقانون الدولي ولحرمة المساس بالمواقع الدينية والتراثية".

وأضافت أن هذا الواقع يعكس حجم الخطر الذي يتهدد التراث الفلسطيني، ويؤكد أهمية توثيقه والتعريف به على المستويين العربي والدولي، كجزء لا يتجزأ من الهوية الثقافية والتاريخية للشعب الفلسطيني وللأمة العربية.

النجمة أصالة تغني شارة «القيصر» الدراما الجريئة

دمشق - أنهَت النجمة أصالة نصري تصوير شارة وكليب مسلسل "القيصر – لا مكان لا زمان"، في عمل درامي سوري غير مسبوق من حيث الجرأة والحجم، يُعدّ الأول من نوعه بعد سقوط نظام بشار الأسد، موثقاً بالأدلة والشهادات أحداثاً دامية من داخل السجون السورية.

وفي تصريح خاص، قالت أصالة "هذا الصوت الذي عرفتموه يوماً حرّاً، عاد اليوم ليغني للحقيقة. شارة القيصر ليست مجرد غناء... بل وعدٌ لكل من ظُلم أن الحقّ سيُروى. أنا ابنة هذا الشعب، وهذا الصوت هديتي لمن قاوم وصدق."

المسلسل من إخراج صفوان مصطفى نعمو، الذي أكّد في حديثه أن "القيصر لا مكان لا زمان.. ليس مجرد مسلسل، بل شهادة على زمن حاول البعض طمسه. صوّرنا الوجع بلغة الصورة، لنصنع ذاكرة لا تُنسى."

ويتكوّن المسلسل من 30 حلقة موزعة على 10 ثلاثيات،

ويُبنى على أحداث واقعية موثّقة وشهادات حقيقية من داخل المعتقلات السورية التي عايش فيها الثوار والمدنيون أبشع أشكال الإجرام والانتهاكات إبان حكم النظام البائد.

العمل من تأليف مؤيد النابلسي، وشاركه في كتابة الثلاثيات نجيب نصير، عدنان العودة، زهير الملا، ولؤي النوري، ضمن معالجة درامية تجمع بين التوثيق والتشويق والجرأة.

أما شارة المسلسل التي تؤديها النجمة السورية أصالة، فهي من كلمات وألحان حسان زيود، وتوزيع ناصر الأسعد، ويتوقع أن تُخلّد في الذاكرة لما تحمله من وجع وأمل، وتكثيف لروح الثورة في صوتٍ لطالما ارتبط بالحرية.

بابلي يوثق واقع البيئة البرية في العراق

بغداد - حيث يهدد الجفاف والتصحر التنوع الإحيائي بفعل قلة تدفقات المياه والأمطار، يبرز شاب من بابل يحمل كاميرته كأداة علمية وموقف إنساني لإبراز التحديات المؤثرة على البيئة، فكامل الفياضي، الباحث في علوم الأحياء، اختار أن يوجّه عدسته نحو الكائنات المنسية في بيئات العراق المختلفة، موثقًا ما يهدد الحياة البرية والكائنات النادرة التي تختفي بصمت.

ويروي الفياضي في حديثه لوكالة الأنباء العراقية (واع)، "الشغف والفضول لاستكشاف الطبيعة رافقاني منذ الصغر، كنت أراقب الكائنات في بيئاتها، أتابع سلوكها، وأتعلم منها بصمت، وكنت أندهش من حركة طائر، أو اختفاء سلحفاة، أو نقيق ضفدع في المساء، وهذا الشغف أصبح جزءًا من هوايتي العلمية والإنسانية". وتحوّل فضوله المبكر إلى مسار أكاديمي وميداني متكامل، إذ لم تكن ملاحقة الطيور أو تتبع آثار الحيوانات مجرد هواية، بل مدخل إلى علاقة عميقة مع علم الأحياء وفهم التنوع البيئي، ومع حصوله على شهادة الماجستير، بات يوظّف الكاميرا كأداة علمية ووسيلة احتجاج.

ويقول الفياضي "الكاميرا ليست مجرد أداة تسجيل، بل وسيلة توثيق علمية ورسالة احتجاج على ما تعانيه البيئة العراقية".

فعدسة الفياضي لا تكتفي بالتقاط الصور، بل تنقل فهمًا دقيقًا للأنواع وسلوكها، كل صورة تمثل شهادة حية على التحولات البيئية في البلاد.

ويوضح الفياضي "التوثيق العلمي يختلف عن التصوير الجمالي أو المغامرات الترفيهية، نحن نحول الصور إلى مصادر علمية تُستخدم في الأبحاث والمراجع الأكاديمية".

صباح العرب

الحبيب الأسود
كاتب تونسي

مالوش لازمة

يبدو أن زياد الرحباني كان في حاجة إلى أن يموت حتى يحظى بكل هذا الاهتمام الرسمي والشعبي. قبل سنوات عبّر زياد عن خيبته المريرة "أشعر أنني ماليش لازمة في هذا المجتمع." تلك الكلمات المعدودة كانت كافية لتفضح الواقع المؤلم الذي كان يعايشه، سواء من حيث تعامل السلطة والشارع مع الفن الراقي العميق الذي كثيرا ما تبور تجارته وسط أسواق الصخب والإثارة، ويطلق عليه صفة النخبوي لتبرير إهماله من وسائل الإعلام وضعف انتشاره بين الناس، أو من حيث المعاناة الخاصة للمبدع انطلاقا من حاجته لآليات الاستمرار على قيد الحياة، وهو ما يفرض عليه في الكثير من الأحيان إلى التنازل عن مبادئه والتخلي عن مواقفه والاستسلام لشروط البقاء .

استمعت إلى وزير الثقافة اللبناني غسان سلامة وهو يتحدث عن إهمال زياد للعلاج. قال "كان يعلم أنه مطالب بالخضوع لزراعة كبد، وكنا نسعى لإقناعه بذلك، وكان من الممكن أن نحصل على دعم لإجراء العملية، ولكن زياد لم يكن مهتما. كنا نتصل به ويوافق على العلاج، ثم نعود لنتصل به فيؤجل الموعد من دون سبب يذكر."

تابع الوزير "كنا نخاف من هذا اليوم لأننا كنا نعلم تفاقم حالته الصحية وتضاؤل رغبته في المعالجة، وتحولت الخطط لمداواته في لبنان أو في الخارج إلى مجرد أفكار بالية لأن زياداً لم يعد يجد القدرة على تصور العلاج والعمليات التي يقتضيها.. رحم الله رحبانيا مبدعًا سنبكيه بينما نردد أغنيات له لن تموت."

رئيس الحكومة اللبنانية نواف سلام رأى أنه "بغياب زياد الرحباني، يفقد لبنان فنانا مبدعا استثنائياً وصوتاً حراً ظل وفيا لقيم العدالة والكرامة،" وأضاف "جسّد زياد التزاما عميقا بقضايا الإنسان والوطن، من على خشبة المسرح، وفي الموسيقى والكلمة، قال زياد ما لم يجرؤ الكثيرون على قوله، ولامس آمال اللبنانيين وآلامهم على مدى عقود. بصراحته الجارحة، زرع وعيًا جديدًا في وجدان الثقافة الوطنية. أتقدّم من القلب بأحرّ التعازي لعائلته، ولكل اللبنانيين الذين أحبّوه واعتبروه صوتهم."

في أحد تصريحاته قال زياد "العمر بيجري ولكن الوحدة أكثر ما خطف العمر وليس الصحة، فيها إيه اتكل على الله لأن مفيش حاجة في إيدي أديها لصحتي وبنام ساعتين وبس." الحقيقة أن الفنان الكبير وبقدر ما كان يتميز به من عبقرية ومن موهبة سبقت عصرها، بقدر ما كان يعاني من علاقة متشنجة مع الأسرة، ومن إحساس جارح بأنه يغرد من خارج سرب الرحابنة، ومن عدم انسجام مع المجتمع الذي لا يعرف قيمة مبدعيه إلا عند رحليهم، ومن مضايقات كثيرة كان يتعرض لها بسبب مواقفه السياسية المتمردة على التصنيفات الطائفية والأيديولوجية. مات أغلب أصدقائه المقربين وتدحرجت الرموز من عليائها. كان صوتا حرا لا يتردد في التعبير عن مواقفه بشجاعة صادمة. لم يكن اجتماعيا ولم يفلح لا في جمع ثروة ولا في تكوين أسرة ولا في الحفاظ على صحته.. ولا في تغيير الواقع الذي طالما سعى إلى تغييره. كان متجاوزا لمحطات الوقت ومرتفعا فوق خارطة المكان. كان كبيرا في زمن الصغار، وحقيقة محاصرة بجبروت الوهميين ممن أدركوا أن القضاء على فنه وصورته وصحته لا يكون إلا بالعمل على إقناعه بأنه "مالوش لازمة."